# التوحيد

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية • العدد ٥٥٥ السنة الخامسة والأربعون - ربيع الأول ١٤٣٧ هـ • الثمن ٢ جنيهات

## التربية على الرفق بالمخطئ

## العبودية في السراء والضراء



## المزاح الزائد والمشكلات الزوجية

## العنوسة ظاهرة خطيرة تهدد المجتمعات العربية والإسلامية

# الطلاق والتفكك الأسري

رئيس مجلس الإدارة
أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

## السلام عليكم

### سِرُّ البركة

تحاور رجلان في البَركة؛ هذا ينكرها، والآخر يُثْبِتُها.
فقال منكرها: ليس هناك شيء اسمه البَركة.
فسأله صاحبه: أرأيت الكلاب والأغنام؟ قال: نعم.
قال: أيُّها تُنجب أكثر؟
فقال منكر البركة: الكلاب تنجب إلى سبعة في العام، أما الأغنام فتنجب من واحد إلى ثلاثة.
قال له صاحبه: ولو نظرت حولك أيُّها أكثر؟
قال: الأغنام أكثر.
قال له: أليس الأغنام هي التي تُذْبح لإكرام الضيف والأضاحي والمناسبات، ومع ذلك هي الأكثر؟
قال: بلى.
قال الرجل المبارك: هذه هي البركة.
فقال منكر البركة: لماذا استحقت الأغنام البركة دون الكلاب؟
قال الرجل المبارك: لأن الأغنام ترقد أول الليل، وتقوم قبل الفجر، فتدرك وقت الرحمة فتنزل عليها البركة، أما الكلاب فتنبحُ طول الليل من أوله، فإذا دنا الفجر هجست ونامت، ويفوت عليها وقت الرحمة، فتُنزع منها البركة.
قال: صدقت.

التحرير

إدارة التحرير: ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام: WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني: MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير: GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ | ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مطابع الأهرام التجارية

**رئيس التحرير:**

**جمال سعد حاتم**

**مدير التحرير الفني:**

**حسين عطا القراط**




# في هذا العدد




**سكرتير التحرير:**

**مصطفى خليل أبو المعاطي**

**الإخراج الصحفي:**

**أحمد رجب محمد**

**محمد محمود فتحي**


## الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

## ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو .

**١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و ٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .**

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

افتتاحية العدد

# من أسباب إنزال العذاب

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تحدثت في حلقات سابقة عن وجوب إحسان الظن بالله تعالى، وحذرت من اليأس والقنوط من رحمة الله سبحانه، ولا يعني ذلك أن يأمن العبد من مكر الله، أو يترك العمل ويضيع الأمر والنهي ويتكل على العفو، لأن الله- تبارك وتعالى- كما أثبت لنفسه الرحمة والغفران، أثبت أن عذابه أليم، كما قال الله تعالى: «نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» (الحجر: ٤٩-٥٠)، كما جمع بينهما في آية واحدة فقال: «غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ» (غافر:٣)، ولدفع التهاون والتفريط في حق الله تعالى رأيت أن أنبه هنا إلى أن عذاب الله واقع على أصناف من البشر، لارتكابهم ما حرم الله عليهم، واستحقاقهم لغضبه ولعنته لهم، ومن الأسباب الداعية لإنزال العذاب وغضب رب العباد ما يلي:

### ١ - الكفر والشرك بالله تعالى:

الكفر يناقض الإيمان، وهو أن يجحد العبد شيئًا معلومًا من الدين بالضرورة، أو يكذب بما أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم، أو يأتي ناقضاً من نواقض الإسلام. والشرك: أن يتخذ العبد لله ندًا، سواء كان في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته، وقد توعد الله سبحانه الكافرين والمشركين بعذابي الدنيا والآخرة، فقال تعالى في محكم التنزيل: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (الأنفال:٣٦)، ومنطوق الآية صريح وواضح في أنهم سيقع الإنفاق منهم، وستكون عاقبته حسرتهم، لذهاب مالهم، وعدم حصول مقصودهم، وفي آخر الأمر يُغلبون، ثم إلى جهنم يحشرون.

كما أخبر الله تعالى عن أن الكفر سبب لحبوط الأعمال؛ فقال: «الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» (محمد:١)؛ قال ابن كثير: «يقول تعالى: «الذين كفروا» أي: بآيات الله، «وصدوا» غيرهم، «عن سبيل الله أضل أعمالهم» أي: أبطلها وأذهبها، ولم يجعل لها ثوابًا ولا جزاء، كقوله: «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا» (الفرقان:٢٣).

(تفسير ابن كثير ١٠/٢٩٤).

كما أن الشرك محبط للأعمال، كما قال الله تعالى: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (الزمر:٦٥)، وقد أفادت الآية أن الشرك محبط للأعمال، مفسد للأحوال في كل الشرائع، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «ففي نبوة جميع الأنبياء أن الشرك محبط لجميع الأعمال، كما قال تعالى في سورة الأنعام لما عدَّ كثيرًا من أنبيائه ورسله، قال عنهم: «ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأنعام:٨٨)». (تفسير السعدي ٢/٣٢٨).

وفي الآخرة توعد الله الكافرين والمشركين بعذاب الجحيم مع الخلود- عياذًا بالله منها- قال الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» (البينة:٦). يقول ابن كثير رحمه الله في بيان معنى هذه الآية: «يخبر تعالى عن هؤلاء الفجار من أهل الكتاب، والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة أنهم يوم القيامة «فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» (البينة:٦) أي: ماكثين، ولا يحولون عنها ولا يزولون. «أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ» (البينة:٦) أي: شر الخليقة التي برأها الله وذرأها». (تفسير ابن كثير ١٤/٤٢٥).

وللشيخ عطية سالم رحمه الله كلام دقيق حول هذه الآية يقول فيه: «وقد تضمنت هذه الآية مسألتين: الأولى منها: أن أولئك في نار جهنم خالدين فيها، والمسألة الثانية: أنهم شر البرية، ومن البرية الدواب والطيور، وهناك النص على عمومه، فافهم أن أولئك شر من الحيوانات والدواب، وقد جاء النص صريحًا في هذا المعنى في قوله تعالى: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» (الأنفال:٢٢).

وقد بيَّن أن المراد بهم الكفار في قوله: «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ» (محمد:٢٣)، وقال عنهم: «أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (الزخرف:٤٠)؛ فهم لصممهم وعماهم في ضلال مبين، وقد ثبت أن الدواب ليست في ضلال مبين، لأنها تعلم وتؤمن بوحدانية الله، كما جاء في هدهد سليمان، أنكر على بلقيس وقومها سجودهم للشمس والقمر من دون الله». (تتمة أضواء البيان ٩/٤١٥).

وقد أخبر الله في كتابه أنه لا يغفر لمشرك مات على الشرك أبدًا، قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ» (النساء:٤٨)، كما أن الجنة عليه حرام، فلا يدخلها أبدًا تصديقًا لقول الله تعالى: «إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة:٧٢)، وبهذا يظهر أن الكافرين والمشركين في عماية وشقاء، وجهالة جهلاء، وأنهم أقبح خلق الله، وقد استحقوا بكفرهم وشركهم غضب الله وعذابه، ومن باب النصيحة أقول: ارجعوا إلى ربكم وآمنوا به، واعبدوه وحده، ولا تشركوا معه أحدًا، واتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به.

## ٢- ادعاء الربوبية والألوهية:

من المعلوم لدى أصحاب العقول السليمة والفطر المستقيمة أن الذي خلق الكون بما فيه هو الله، وأنه الإله الواحد الأحد، ومع كل ذلك ادعى بعض الناس الربوبية والألوهية، وقد زعمها فرعون المعروف بجبروته وطغيانه لنفسه، فقال لقومه كما ذكر القرآن الكريم عنه: «وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي» (القصص:٣٨)، وهذه دعوة منه قبيحة وافتراء عظيم، ولم يقتصر فرعون على ذلك، بل كان يهدد ويتوعد من لم يتخذه إلهًا، كما قال لموسى عليه السلام: «قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ» (الشعراء:٢٩).

ومرة أخرى جمع قومه ونادى فيهم بأنه ربهم

الأعلى، كما ذكر القرآن عنه ذلك في قوله: « فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ » (النازعات: ٢٣- ٢٤)، وهذه دعوى عارية عن الدليل، بل هي من البهتان العظيم.

ولا أعرف رجلاً سبقه إلى هذا الضلال بهذا التصريح، وإني أقرر هنا بأن الأدلة الدالة على وجود الله تعالى وتفرده بالخلق بعدد مخلوقاته، فكل ما خلق الله في السموات والأرض يدل بذاته على وجود الله تعالى وخلقه له، والكون بأسره كان عدماً ووجد بإيجاد الله له، ومن المقرر لدى العقلاء أن من سبق بعدم، فلا بد له من موجد يخرجه من العدم إلى حيز الوجود، وليس ذلك إلا لرب العالمين سبحانه، وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة التي لا يماري فيها إلا مكابر، قال الله تعالى: « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ » (الطور: ٣٥- ٣٦).

وفي هاتين الآيتين حجة باهرة قوية، لا تملك العقول لها دفعاً، وهما تقرران ربوبية الله على خلقه، وضرورة الاعتراف بوجوده سبحانه، ولقد صاغ القرآن الكريم هذه الحجة بهذه الأسئلة الإنكارية ومعناها: هل وجدتم من غير شيء؟ وهذا ظاهر الفساد؛ لأن تعلق الخلق بخالق من ضرورة الأمر، فلا بد للمخلوق من خالق، وإذا أقروا بهذه الحقيقة، فهل خلقوا أنفسهم؟

وهذا أيضاً من الفساد بمكان، لأن ما لا وجود له، لا قدرة له، فكيف يخلق؟ فلم يبق إلا الاعتراف بالخالق الحكيم وحده سبحانه، وقد كان لهاتين الآيتين مكانة عظيمة عن الصحابة لما دلت عليه وقررته من حقائق، فقد أخرج البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: « أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ » (الطور: ٣٥- ٣٧) كاد قلبي أن يطير». (البخاري: ٤٨٥٤).

قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: «المعنى: أم خُلقوا من غير خالق؟ وذلك لا يجوز، فلا بد لهم من خالق، وإذا أنكروا الخالق فهم الخالقون لأنفسهم، وذلك في الفساد والبطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ وإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً». (فتح الباري ٨/٦٠٣).

والحاصل أن إنكار الخالق سبحانه يتنافى مع الفطرة والعقل، وأنا لا أورد الحديث عن هذا هنا، ولكني أريد أن أبين أن جحود فرعون لرب البرية، وادعاء الربوبية والألوهية كان وبالاً عليه وقومه، فأصابهم عذاب الله ومقته، وكانت نهايته كما ذكر القرآن الكريم عنه: « وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ » (الذاريات: ٣٨- ٤٠).

وفي الآيات إشارة إلى موسى عليه السلام الذي أتى فرعون بالآيات الواضحات، ولكنه استكبر وأنكر، وبغى وتكبر، ولذلك كان غضب الله عليه شديد، وأخذه له أليم، وقد ذكر رب العالمين في آيات كثيرة من كتابه نهاية فرعون الأليمة، ومن ذلك ما ساقه من قصته في سورة هود، وقوله بعدها: « وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ » (هود: ١٠٢). وفي الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله ليملي للظالم حتى أخذه لم يفلته، ثم قرأ الآية «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ»». (البخاري: ٤٦٨٦، ومسلم: ٥٨٣).

وقد عامل الله فرعون بنقيض قصده، حيث أراد أن يخرج موسى وقومه من مصر، فأهلكه الله، وجعل موسى مُمكناً في أرض مصر ومعه قومه، كما قال الله تعالى: « فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا » (الإسراء: ١٠٣- ١٠٤)، وقد أورث الله أرض مصر وخيراتها لموسى ومن معه، كما قال الله تعالى: « كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ » (الشعراء: ٥٩).

وللحديث صلة بإذن رب العالمين.

بقلم رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

# العنوسة ظاهرة خطيرة تهدد المجتمعات العربية والإسلامية

**الحمد لله الذي خلق الناس من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء، وأشكره على نعم لا تعد ولا تحصى.**

**وبعد: ففي ظل ما تعيشه أمتنا من فتن وابتلاءات على كل الأصعدة، وفي كل الأقطار: فتن كقطع الليل المظلم، ومع ذلك فإننا ننشغل في أحوالنا الغريبة، وأوصال أقطارنا التي تفتت، بأيدينا وأيدي غيرنا ممن خططوا وتآمروا على توزيع الغنائم، حتى أصبحت الأمة الإسلامية نهبًا لكل طامع، وفي الطريق لتحقيق ذلك يشعلون الحروب والفتن في كل أنحاء الأمة للوصول إلى مبتغاهم، وسط حالة من التيه والحسرة والهوان تعيشها الأمة، متغافلين عن قضايا تفتت أوصال الأمة وتنهش في عظامها، قضايا اجتماعية نغفل عنها، تستحق منا وقفة متأنية لمحاولة القضاء عليها ومعالجتها، وهذا الشهر تنفرد مجلتنا الحبيبة «التوحيد» بإفراد بعض الصفحات عن ظاهرتين هما من الخطورة بمكان: ظاهرة الطلاق التي تناولها الشيخ جمال عبدالرحمن -حفظه الله-، وهنا نتناول ظاهرة من أخطر الظواهر الاجتماعية في عصرنا بعد الطلاق، وهي ظاهرة العنوسة، وخطرها المحدق على الأمة.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.**

### العنوسة ظاهرة مرضية تضرب في أعماق الأمة

لقد شرع الله سبحانه الزواج، وجعله سكنا ومودة بين البشر، فقال عز من قائل في كتابه العزيز: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم:٢١)؛ فهذه هي الغاية من الزواج الذي شرعه الله تعالى، وجعله سنة كونية بين البشر، ومع هذا التوجيه الإلهي الرباني تنتشر في كل الأوطان العربية والإسلامية ظاهرة مرضية خطيرة، نجدها تقف حائلاً أمام تحقيق المودة والرحمة، وهي العزوف عن الزواج، أو ما يطلق عليه اصطلاحا بظاهرة «العنوسة».

والعنوسة تعبير عام يُستخدم ويُطلق على الإناث اللاتي تعدين سن الزواج المتعارف عليه في أوطانهن، مع التأكيد على أن هذا المصطلح عندما يُطلق لا يُراد به النساء فحسب، ويختلف عمر هذه المرأة العانس من مجتمع إلى آخر، في تقدير السن المناسب للزواج، وإذا فاتها السن المتعارف عليه لزواج الفتاة في موطنها، فهي في هذه الحالة تعد عانسا، بمفاهيم مختلفة في البلدان بعضها عن بعضها في تقدير هذا السن.

إن مشكلة العنوسة تعد من أكبر وأخطر المشكلات التي نعاني منها في مجتمعاتنا، لاسيما أنها تفشت وتضخمت بدرجة كبيرة في الأونة الأخيرة، وإن تلك الظاهرة إذا ما استحكمت في أي مجتمع كانت كافية لأن تؤدي إلى انهياره، والعنوسة لا تقف فقط عند حد الفتيات، وإنما تطال الشباب والرجال أيضا.

وظاهرة العنوسة أصبحت تمثل آفة تكاد اليوم أن تكون موجودة في كل بيت من بيوتنا، فلا يكاد يخلو بيت من جود شاب أو فتاة بلغا سن الزواج وتخطوه، ولا يزالا يبحثان عن مخرج لأنفسهم

من تلك القائمة البغيضة لنفس الإنسان، وتغرقهم في بحور التيه، ومستنقعات الفساد والضياع، إلا من عصم ربي.

### معدلات العنوسة في الأقطار العربية

تفاقمت مشكلة العنوسة حتى أصبحت تمثل ظاهرة اجتماعية خطيرة يعاني منها الشباب والفتيات على السواء، وفي دراسة لهيئة الإذاعة الهولندية أظهرت ارتفاع نسب العنوسة في الأقطار العربية؛ حيث شكلت أعلى نسبة على المستوى العالمي.

ففي مصر بلغ عدد العوانس ثمانية ملايين أي بنسبة ٤٠٪ من مجموع الفتيات في سن الزواج، وهو رقم مرشح للارتفاع بسبب الأزمة الاقتصادية التي تعيشها مصر.

وفي المغرب أثبتت الدراسات التي صدرت عن أجهزة رسمية بها أن نسبة العنوسة بين الفتيات بلغت أربعة ملايين عانس، وأن ذلك يرجع إلى الظروف المالية والاقتصادية بالدرجة الأولى؛ حيث تكثر البطالة، وتضعف الدخول لغالبية الشباب الذي يقاوم شبح البطالة.

وفي السعودية والأردن بلغت النسبة ٤٥٪ حيث تعود نسبة العنوسة في المجتمع السعودي لأسباب متعددة؛ من أهمها غلاء المهور، وتكاليف الزواج المرتفعة، وانتشار بعض العادات في المجتمع؛ مما يصعّب مسألة الزواج، واشتراط تكافؤ النسب من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، واشتراط بعض أولياء الأمور تزويج بناتهن حسب ترتيبهن العمري.

وفي الجزائر نجد أن ظاهرة العنوسة منتشرة وفي ارتفاع لافت؛ حيث تشير الدراسات إلى أن عدد العوانس في الجزائر يبلغ خمسة ملايين، أي ما يفوق عدد سكان ليبيا المجاورة لها.

أما في تونس فقد أصبح الزواج مؤجلاً لدى غالبية الشباب لعدة عوامل؛ منها تأخر سن الدراسة، والعمل، حيث يرغب الكثير من الشباب في متابعة التحصيل العلمي، والبحث عن وظيفة مناسبة قبل الزواج، وقد بلغت نسبة العنوسة بين الفتيات اللاتي في سن الزواج نحو ٦٢٪.

وفي العراق وسوريا بلغت النسبة ٧٠٪؛ كنتيجة طبيعة للأوضاع الأمنية والاقتصادية المتأزمة هناك، واشتعال الحروب والصراعات التي أدَّت إلى عزوف الشباب عن الزواج ورفع معدلات العنوسة بشكل كبير.

وفي الإمارات العربية المتحدة؛ بلغت النسبة إلى ٧٥٪، ويرجع السبب في ذلك إلى الارتفاع الكبير في تكاليف الزواج، والى السماح للرجال بالزواج من غير الإماراتيات، بينما يتم التضييق على النساء الراغبات بالزواج من غير مواطني الدولة.

وفي لبنان ارتفعت النسبة لتصل إلى ٨٥٪ لتسجل لبنان أعلى نسبة عنوسة في الوطن العربي.

وتعد العنوسة مشكلة اجتماعية تعاني منها شريحة واسعة من النساء اليمنيات، ويرجع السبب الرئيس إلى عوامل ترتبط بالفقر والعادات والتقاليد القبلية، وتردي الوضع الاقتصادي والأمني والمعيشي.

وفي الكويت وقطر وليبيا بلغت نسبة العنوسة ٣٥٪؛ حيث قدر عدد العوانس في ليبيا بـ ٣٠٠ ألف عانس بسبب وضعها الأمني غير المستقر.

أما في الكويت وقطر فيعود سبب ارتفاع تلك الأرقام إلى المغالاة في المهور، وارتفاع تكاليف الزواج وفقًا للأعراف الخليجية، كما يتم التضييق على زواج المواطنات الخليجيات من الرجال الوافدين.

ويُعد من أعظم أسباب انتشار العنوسة في تلك الدول والبلدان التي ذكرناها، هي تلك العادات والتقاليد والأعراف السائدة؛ كالتباهي بالمهور والمغالاة فيها، والتفاخر في التجهيز لمؤن الزواج وتكاليفه كسبب رئيس وعائق كبير أدى إلى نشوء تلك الظاهرة، وباتت شبحًا يهدد أمن واستقرار تلك المجتمعات على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والأمني لتلك البلدان.

### نهي الإسلام عن التفاخر بالأنساب

واذا كانت البطالة والفقر، وضعف المستوى الاقتصادي، وأزمة الإسكان والمغالاة في المهور، عقبات تقف في طريق الشباب، وتمثل عائقًا

يقف سداً منيعاً دون زواج الملايين من الشباب والفتيات حتى لا يقعن في فخ العنوسة، فإننا نتوجه إلى ولي أمر كل فتاة بأن لا تجعل ابنتك سلعة تساوم عليها لمن يدفع أكثر ليحوزها ويفوز بها، فإن فعلت ذلك فإنك إذن من الظالمين، فإياك أن تموت وأنت ظالم لبناتك.

وقد جاء الإسلام لإرساء دعائمه في قلوب الناس، ومنع العصبية القبلية وحرَّمها، فلا تفاخر بالأحساب، ولا تعاظم بالأنساب، بل ميزان التفاضل هو قول الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (الحجرات:١٣).

واليوم أعاد بعض الناس عادات الجاهلية البغيضة، فلا يقبلون الخاطب الكفء بحجة أنه ليس من القبيلة، أو ليس من ذوي الحسب والنسب، مع أن بلالاً رضي الله عنه كان عبدًا حبشيًا جاء من الحبشة، فأكرمه الله بالإسلام، وأعزه بالإيمان، فدخل الجنة، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم دف نعليه في الجنة، وقال عن سلمان الفارسي وهو من فارس وليس من العرب: «سلمان منا آل البيت». وغيرهم الكثير، فهل نفع الحسب والنسب أبا جهل، أو أبا طالب، أو أبا لهب عمّا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ بل هم في النار، وهم أشرف العرب حسبًا ونسبًا، والحديث النبوي الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن بطَّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه». (أخرجه مسلم).

فعلينا أن نترك عادات الجاهلية، وإذا تقدم للفتاة الخاطب الطيب صاحب الدين والخُلق من أي قبيلة، أو من أي مدينة، فعلينا تزويجه وإن لم نفعل فلا نلومن إلا أنفسنا، ولنصغ لقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: ( مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَدْعُو عَصَبِيَّةً أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ ) (رواه مسلم ٣٤٤٠).

فإذا جاءكم من ترضون دينه وخُلُقه، وعرفتم عليه سمات الصلاح والخير فلا تترددوا في تزويجه، حتى لا تبقين الفتيات حبيسات جدران أربعة، فيركبن قطار العنوسة المميت.

فالزواج حلم يُداعب خيال كل فتاة لتتوج ملكة على عرشها، وتمارس غريزة إنسانية أودعها الله في قلب المرأة، وهي غريزة الأمومة، فالمرأة سند الرجال، ومربية الأجيال، وهي المدرسة الأولى في حياة كل إنسان.

## الإسلام يتصدى لظاهرة العنوسة

وينظر الإسلام إلى ظاهرة العنوسة باعتبارها تعطل مقصدًا مهمًا من مقاصده، فقد شرع الإسلام الزواج لمقاصد سامية، منها أنه وسيلة من وسائل العفاف والإحصان والعفة؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء». كما أنه سببٌ لبقاء النوع البشري، ووسيلة إيجابية لتحقيق الأمومة والأبوة، وإقامة مجتمع مسلم.

ولا شك أن الإسلام قد وضع الحلول القويمة لمواجهة «غول» العنوسة الذي يلتهم الشباب والفتيات دون استثناء، وذلك عندما دعا إلى تيسير الزواج وعدم المغالاة في المهور، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخُلقه فزوجوه، فإن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادٌ كبير» رواه الترمذي بسند صحيح.

وحضَّ القرآن الكريم على الزواج؛ لما فيه من مودة وسكن ورحمة؛ في قوله تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم:٢١)، لكننا خالفنا هذه التعاليم الشرعية؛ فوقعت الفتنة والفساد الكبير المتمثل في العنوسة، والزواج السري والعرفي، والعلاقات المحرمة.

ولقد بدأنا ندرك اليوم عظمة ديننا الحنيف مع تزايد طوابير العانسات والمطلقات والأرامل في المجتمع العربي والإسلامي، وبدأ البعض يفكر في تعدد الزوجات في مواجهة العنوسة، وهذا كلام قد يُغضب الكثيرات من النساء.

وعندما أباح الإسلام تعدد الزوجات لم يُبحه

عبثا، وانما لحكمة عظيمة، يعلمها كل من يفكر في أحوال المجتمع البشري، وطبائع الرجال والنساء، فالرجل لا يلجأ إلى التعدد الا لتحقيق بعض المصالح والمنافع التي قد لا توفرها له الزوجة الأولى والواحدة، ويكون التعدد في هذه الحالة لتحقيق مصلحة كبيرة تحمي الزوج من اتخاذ الخليلة، أو الوقوع في الحرام والمحظور، بل قد يحقق التعدد للمرأة في كثير من الأحيان مصلحة اجتماعية كبيرة حتى لا تعيش عانسا أو أرملة أو مطلقة دون زوج، ولأن ترضى بنصف أو ربع زوج خير لها من أن تعيش وحيدة بلا رجل على الإطلاق.

ولا شك أن تيسير سبل الزواج، والأخذ بسنة التعدد لهي من أقوم الطرق وأعدلها لمواجهة المشكلات الاجتماعية المترتبة على انتشار ظاهرة العنوسة، ووجود أعداد كبيرة من المطلقات والأرامل، ومعالجة ما قد يصيب المجتمع من أمراض.

## المغالاة في المهور من أهم أسباب العنوسة

وعندما نستعرض الأسباب المؤدية للعنوسة وطرق علاجها؛ فاننا سنجد أن المغالاة في المهور، والمباهاة الشديدة في اتمام الزواج أصبحت عائقا وسدا منيعا وعائقا يقف في طريق الشباب المقبل على الزواج، ولا بد أن يتواضع الأهل في مطالبهم، وألا يكلفوا الخاطب ما لا يطيق، وأن يطلبوا أيسر المهور، فغلاء المهور عقدة عقدها الناس على أنفسهم، وشددوا فيما يسره الله تعالى عليهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الزوجات: «أيسرهن مهرا أكثرهن بركة». والصحابة والسلف الصالح من بعدهم لم يكونوا يبحثون عن مال الرجال، وماذا سيدفعون؛ لأن الفتاة ليست سلعة تباع وتشترى، وانما هي إنسانة، فليبحث لها الأب أو الولي عن إنسان كريم الدين والخلق والطباع، قال صلى الله عليه وسلم: «اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض».

وقد يترتب على انتشار وشيوع تلك المعوقات، وتلك الظواهر، البحث عن طرق خفية وسهلة للزواج بين الشباب، مثل الزواج الزواج السري الذي يسمى بالعرفي وهو محرم شرعا، والذي انتشر بين طلاب الجامعات، في مواجهة تعقيدات الزواج الرسمي، ومتطلباته الكثيرة، فقد كشفت دراسة إحصائية أجراها المجلس القومي للسكان في مصر، عن تفشي ظاهرة الزواج السري خاصة بين طالبات الجامعات المصرية، وبينت الاحصاءات وجود ٤٠٠ ألف حالة زواج سري، وأن أغلب تلك الحالات تقع بين الشباب والفتيات الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٨-٣٠ سنة، وأن نسبة الزواج السري بين طالبات الجامعات تمثل ٦٪ من مجموع الطالبات المصريات، وكشفت دراسة أخرى لمركز البحوث الاجتماعية في مصر عن وجود ٣٠ ألف حالة زواج عرفي بين أصحاب الشركات وسكرتيراتهم.

وفي الوقت الذي تكتوي فيه الدول العربية والإسلام بنار العنوسة وسلبياتها، نجد الأمم المتحدة ومنظماتها تسعى جاهدة إلى نشر مبادئ تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، وتحارب عفة الرجال والنساء، فهي تعلن الحرب على الزواج المبكر، وتعده عنفا موجها ضد المرأة، وفعلا مذموما ينبغي القضاء عليه نهائيا، وفي نفس الوقت تسعى لنشر الاباحية، والتأكيد على حق النساء في إشباع احتياجاتهن الجنسية بالصورة التي يريننها، وفي الوقت الذي تقتضيه الحاجة؛ بغض النظر عن الناحية العمرية التي يمررن بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأخيرا فاننا نذكر بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخر، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» رواه مسلم.

فاللهم احفظ شبابنا، واحفظ نساءنا من كل مكروه وسوء، وارزقهم الأزواج والزوجات الصالحات.

والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

# سورة محمد صلى الله عليه وسلم

الحلقة الثالثة

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ». (محمد: ٢-٣).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

**فإن أعظم الفضل من الله تعالى أن الكافر إذا آمن أثابه الله على ما عمل من خير في الجاهلية:**

عَنْ عُرْوَةَ عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قُلْتُ يا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا في الْجَاهِلِيَّةِ فهل لي فيها من شيء؟ فقال النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ». (صحيح مسلم ١٢٣).

قال الإمام النووي-رحمه الله-: ذهب ابن بَطَّال وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ إِلَى أَنَّ الْحَدِيثَ عَلَى ظَاهِرِه، وَأَنَّهُ إِذَا أَسْلَمَ الْكَافِرُ وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَامِ يُثَابُ عَلَى مَا فَعَلَهُ مِنَ الْخَيْرِ فِي حَالِ الْكُفْرِ، وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَسْلَمَ الْكَافِرُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ تعالى لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ زَلَفَهَا وَمَحَا عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ زَلَفَهَا وَكَانَ عَمَلُهُ بَعْدُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى». (صحيح النسائي: ٥٠١٣).

قال ابن بَطَّال-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بَعْدَ ذِكْرِه الْحَدِيثَ: وَلِلَّهِ تَعَالَى أَنْ يَتَفَضَّلَ على عباده بما يشاء لَا اعْتِرَاضَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ قَالَ وَهُوَ كَقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم لِحَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رضي الله عنه: «أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ» وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قَوْلُ الْفُقَهَاءِ لَا يَصِحُّ مِنَ الْكَافِرِ عبادة، وَلَوْ أَسْلَمَ لَمْ يُعْتَدَّ بِهَا، فَمُرَادُهُمْ أَنَّهُ لَا يُعْتَدُّ له بها في أَحْكَامِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ فِيهِ تَعَرُّضٌ لِثَوَابِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ أَقْدَمَ قَائِلٌ عَلَى التَّصْرِيحِ بِأَنَّهُ إِذَا أَسْلَمَ لَا يُثَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ رُدَّ قَوْلُهُ بِهَذِهِ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ. (شرح النووي على مسلم (٢/١٤٠-١٤٢)).

وهناك معنى آخر وجيه، وفيه بشارة للمؤمنين، قال الضَّحَّاكُ: «أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» أَبْطَلَ كَيْدَهُمْ وَمَكْرَهُمْ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وجعل الدائرة عَلَيْهِمْ (معالم التنزيل: ١٥١/٥). فلا يستطيعون صرف الناس عن دين الله عز وجل، يعني أنهم يعملون جاهدين لصد الناس عن دين الله عز وجل «وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ» (البروج: ٢٠) يحبط أعمالهم، ويبطل كيدهم، فلا يبلغون غايتهم، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (الأنفال: ٣٦)، وقال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا» (البقرة: ٢١٧)، والتقييد بهذا الشرط مُشْعِرٌ بِاسْتِبْعَادِ تمكنهم من ذلك، وقدرتهم عليه (فتح القدير للشوكاني: ٢٥٠/١)؛ فهو بمعنى: ولن يستطيعوا، كَقَوْلِ الرَّجُلِ لِعَدُوِّه: إِنْ ظَفِرْتَ بِي فَلَا تُبْقِ عَلَيَّ، وَهُوَ وَاثِقٌ بِأَنَّهُ لَا يَظْفَرُ بِهِ. (التفسير الكبير: ٣٧/٦)).

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تعالى لَمَّا بَيَّنَ حَالَ الكفار بين حال

المؤمنين فقال: «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» (محمد: ٢):

«والذين آمنوا وعملوا الصالحات» أي آمنت قلوبُهم وسرائرهم، وانقادت لشرع الله جوارحُهم وبواطنُهم وظواهرُهم، «وآمنوا بما نزل على محمد» عطف خاص على عام، تنويها بشأنه، وتنبيها على سمو مكانه، من بين سائر ما يجب الإيمان به، وأنه الأصل في الكل، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان بعد بعثته صلوات الله وسلامه عليه. وقوله وتبارك تعالى: «وهو الحق من ربهم» جملة معترضة بين المبتدأ وهو قوله: «والذين آمنوا»، وبين خبره وهو قوله: «كفر عنهم سيئاتهم». وهي تتضمن شهادة الله بأن هذا القرآن المنزل على هذا النبيّ الكريم صلى الله عليه وسلم هو الحق من الله.

وقوله تعالى: «كفر عنهم سيئاتهم» أي: السيئات التي عملوها فيما مضى، فإنه غفرها لهم بالإيمان والعمل الصالح. «وأصلح بالهم» قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي أمرهم. وقال مجاهد: شأنهم. وقال قتادة وابن زيد: حالهم والكل متقارب. (انظر: تفسير القرآن العظيم (١٧٢/٤)، إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٨٣/٦)، فتح القدير للشوكاني (٣٦/٥)، التحرير والتنوير لابن عاشور (٧٥/٢٦، ٧٦)، أضواء البيان للشنقيطي (٢٤٦/٧)).

وقيل: البال: يطلق على القلب، أي العقل وما يخطر للمرء من التفكير، وهو أكثر إطلاقه، ولعله حقيقة فيه.

وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها، لأن تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبس بها أهل الشرك، وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة، والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكرون إلا صالحا ولا يتدبرون إلا ناجحا. (التحرير والتنوير (٧٥/٢٦، ٧٦)).

وقد جاء في مقابلة الأوصاف الثلاثة التي أثبتت للذين كفروا بثلاثة أوصاف ضدها للمسلمين وهي: الإيمان مقابل الكفر، والإيمان بما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم مقابل الصد عن سبيل الله، وعمل الصالحات مقابل بعض ما تضمنه: «أضل أعمالهم»، و«كفر عنهم سيئاتهم». مقابل بعض آخر مما تضمنه «أضل أعمالهم»، «وأصلح بالهم» مقابل بقية ما تضمنه «أضل أعمالهم». وزيد في جانب المؤمنين التنويه بشأن القرآن بالجملة المعترضة قوله: «وهو الحق من ربهم» وهو نظير لوصفه بسبيل الله في قوله: «وصدوا عن سبيل الله».

وعبر عن الجلالة هنا بوصف الرب زيادة في التنويه بشأن المسلمين على نحو قوله: «وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ» (محمد: ١١)، فلذلك لم يقل: وصدوا عن سبيل ربهم. (التحرير والتنوير (٧٤/٢٦، ٧٥)).

ثم بين الله تعالى العلة في كونه أضل أعمال الذين كفروا، وكفر عن الذين آمنوا سيئاتهم وأصلح بالهم فقال: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ» (محمد: ٣) في موضع رفع، أي الأمر ذلك، أو ذلك الإضلال والهدى المتقدم ذكرهما سببه هذا. فالكافر اتبع الباطل، والمؤمن اتبع الحق. والباطل: الشرك. والحق: التوحيد والإيمان. أي إنما أبطلنا أعمال الكفار، وتجاوزنا عن سيئات الأبرار، وأصلحنا شؤونهم لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل أي اختاروا الباطل على الحق وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم.

(كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) (محمد: ٣) أي كهذا البيان الذي يبين الله للناس أمر الحسنات والسيئات. والضمير في «أمثالهم» يرجع إلى الذين كفروا والذين آمنوا. والمعنى: كهذا التبيين يبين الله للناس أحوالهم فلا يبقوا في غفلة عن شؤون أنفسهم محجوبين عن تحقق كنههم بحجاب التعود لئلا يختلط الخبيث بالطيب، ولكي يكونوا على بصيرة في شؤونهم. وفي هذا إيماء إلى وجوب التوسم لتمييز المنافقين عن المسلمين حقا، فإن من مقاصد السورة التحذير من المنافقين. (انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٢٥/١٦)، تفسير القرآن العظيم (١٧٢/٤)، التحرير والتنوير (٧٧/٢٦)).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله الهداية والتوفيق.

# الضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي



إعداد د. حسين حسين شحاتة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد استنبط الفقهاء مجموعة من الضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي تتعلق بالمنهي عنه شرعاً وتتمثل في المحرمات الواجب تجنبها لأنها تتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية وهي حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، ومن أهم هذه الضوابط ما يلي:

أولاً: تجنب التقتير: ويقصد بالتقتير اصطلاحاً في مجال الإنفاق هو التضييق عن الواجب أن يكون في ظل الظروف العادية، وبلغة الاقتصاد والمحاسبة هو الإنفاق دون المعيار أو النمط الواجب أن يكون.

ولقد نهى الله سبحانه وتعالى عن التقتير في قول الله تبارك وتعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» (الفرقان: ٦٧)، ولقد ورد في تفسير هذه الآية ما يلي: يقول ابن كثير: «أي ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكلفونهم عدلا ..........»، ويوضح القرآن الكريم أن النفس البشرية تخشى الفقر والعوز، فهي مقترة بطبيعتها ودليل ذلك قول الله عز وجل: «قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا» (الإسراء: ١٠٠) وقوله تبارك وتعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ» (الإسراء: ٢٩).

ويعتبر التقتير من أمراض النفس البشرية وهو الشح الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم» (رواه مسلم).

ويقول علماء الاقتصاد الإسلامي أن التقتير يؤدي إلى حدوث الكساد الاقتصادي حيث ينكمش الطلب على السلع والخدمات وهذا بدوره يقود إلى سلسلة من المضاعفات تنتهي بانخفاض الإنتاج وتقليص العمالة وزيادة البطالة، فهناك حد أدنى للإنفاق حتى ولو كان الدخل لا يكفي ويعوض الفرق من خلال الزكاة والصدقات ونحوها.

ويتمثل الجانب التربوي في تحريم التقتير أنه يحمي النفس البشرية من آفة الشح وظلمها لصاحبها وحرمانه مما أحل الله له، كما أنه يحمي المجتمع من الهلاك، وهذا ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا» (متفق عليه). وفي رواية أخرى: اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم» (رواه مسلم).

ويتضح من ذلك أنه يجب تربية النفس البشرية على الوسطية والاعتدال وتجنبها التقتير والبخل والشح حتى لا يترتب على ذلك ضررا بالإنسان وبالمجتمع، كما أن التقتير أحياناً يدفع الأولاد إلى مفاسد الأخلاق ومنها السرقة.

ثانياً: تجنب الإسراف: الإسراف لغة هو مجاوزة الحد في الشيء وهو ما جاوز القصد منه، وشرعاً هو تجاوز الحد الأقصى للإنفاق المباح المسموح به بما يخرجه عن القصد الشرعي منه في ضوء الظروف والإمكانيات المتاحة للمستهلك، ودليل ذلك من القرآن قول الله تبارك وتعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ

ذَٰلِكَ قَوَامًا » ( (الفرقان: ٦٧) وقوله عز وجل: « يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ » (الأعراف: ٣١) وقوله سبحانه وتعالى: « كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ » (الأنعام: ١٤١).

ولقد ورد في السنة النبوية الشريفة أحاديث عن النهي عن الإسراف منها ما سبق ذكره مثل قوله صلى الله عليه وسلم: « كل ما شئت، واشرب ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك اثنتان: سرف ومخلية » (رواه البخاري).

والعلة من تحريم الإسراف أنه يبدد الأموال بدون منفعة معتبرة شرعاً، ومن المنظور الاقتصادي قد يقود الإسراف إلى التضخم والاعتداء على حقوق الأجيال القادمة، ومن المنظور الطبي فإنه يؤدى إلى الإضرار بالبدن، ولقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجال الطعام معايير يجب الالتزام بها فقال: « ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، فإن كان لابد، فثلث للطعام، وثلث للشراب وثلث للنفس » (أخرجه الحاكم)، ومن المنظور الاجتماعي يقود الإسراف إلى الفساد الاجتماعي، فإن كان هناك سعة من المال فلتوجه إلى الفقراء الذين لا يجدون الضروريات في صورة زكاة أو صدقات أو وقف أو وصايا.

ويتمثل البعد التربوي لتحريم الإسراف في حماية النفس البشرية من الشره، وكبح هواها من أن تطغى فتضل وتشقى، كما يربيها أيضا على حفظ حقوق الأجيال وتجنب مصاحبة المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، بالإضافة إلى ذلك استشعار المحاسبة الأخروية أمام الله للمحاسبة عن هذا الإسراف وتبديد نعمه عز وجل، وصدق الله العظيم القائل: « وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ » (غافر: ٤٣)، ولقد وصف الله سبحانه وتعالى فرعون بصفة المسرفين فقال جل شأنه: « وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ » (الدخان: ٣٠-٣١).

وكذلك ينبغي تجنب التبذير: التبذير لغة هو الإسراف من رمي البذر في الأرض بما لا فائدة منه.

ويعتبر التبذير ضياعاً للمال بدون منفعة معتبرة شرعا ولقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك في قوله: « ..وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال » (متفق عليه).

ولا يختلف البعد الاقتصادي والاجتماعي والصحي والتربوي لتحريم التبذير عما سبق بيانه في حالة الإسراف، فكلاهما تبديد وضياع للمال بدون منفعة كما أنهما من أبواب الترف والفساد في الأرض.

**رابعاً: تجنب النفقات الترفيهية والمظهرية:** تحرم الشريعة الإسلامية النفقات الترفيهية بصفة قطعية لأنها تؤدي إلى الفساد والهلاك وهذا التحريم يخص الفرد في ماله الخاص والدولة في الأموال العامة، وأصل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ( وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ) (الإسراء:١٦)، وقوله جل شأنه: ( وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ) (سبأ: ٣٤)، ويصف القرآن هؤلاء المترفين بصفة الكافرين والكاذبين فيقول جل شأنه: ( ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ) (المؤمنون: ٣٣).

والسنة النبوية حافلة بالأحاديث التي تحذر المستهلك المسلم من حياة الترف وإنفاق المال في الملذات والتفاخر والخيلاء، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: « كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا، ما لم يخالطه إسراف ومخيلة » (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني)، ويقول صلى الله عليه وسلم: « إياكم والمخيلة، لا تلام على كفاف » (رواه ابن ماجه)، ويقول صلى الله عليه وسلم: « يأتي على الناس زمان همهم بطونهم، وشرفهم متاعهم، وقبلتهم نساؤهم، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم، أولئك شر الخلق، لا خلاق لهم عند الله » (رواه الديلمي)، وعن حذيفة بن اليمان قال: « نهى رسول الله أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن

نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه» (رواه البخاري).

أما الواقع الآن فقد ابتعدنا عن شريعة الإسلام وأصبح الترف والمظهر والتباهي والتفاخر هو الأساس الذي اعتاد عليه الناس وظنوا أن العرف والمعتاد هو ذلك، فتهتم المرأة عند إعداد الولائم بالمحمر والمشمر والمكسرات والعصائر وغيرها، وربما وهي على يقين تام بأن زوجها قد اقترض هذا المال من الغير، بل والأدهى والأمر أن هناك من الحكومات ما تهتم بالمظهريات والإنفاق الترفي ويوجد في ميزانيتها العجز الذي يقدر بالمليارات، وعليها قروض ثقيلة يحتاج سدادها إلى أحقاب من الأزمان.

لذلك يجب على المسلم أن يبتعد عن كل سبل الترف في سلوكه الاستهلاكي حتى لا يكون ذلك إحباطا لعمله وخسرانا له في الدنيا والآخرة، وعلى مستوى البيت يجب على المرأة أن توقن أن الترف والمظهرية يؤديان إلى الاستدانة، والاستدانة تسبب الهم والغم والحزن كما أن الاستدانة أحيانا تقود إلى الكسب الحرام.

ويرى رجال الاقتصاد الإسلامي أن الإنفاق الترفي والمظهري على مستوى الفرد والمنزل والدولة يقود إلى الفساد الاقتصادي وإهدار الموارد بدون قيمة مضافة ويعوق التنمية الاقتصادية، كما أن للترف والبذخ جوانب اجتماعية سيئة منها الفساد والهلاك، والتاريخ يعطي نماذج بارزة عن فساد الحكام وظلمهم عندما كان سلوكهم الاستهلاكي هو الترف والبذخ، ولقد أشار الله إلى ذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ (الإسراء: ١٦).

ويتمثل البعد التربوي لتحريم الإنفاق الترفي والمظهري في كبح هوى النفس البشرية والمحافظة على مشاعر الفقراء والمساكين وتحقيق العدل الاجتماعي بأن توجه الأموال التي تنفق في الترف إلى الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل والمرضى وغيرهم في صورة زكاة أو صدقات أو وصايا.

**خامساً: تجنب نفقات التقليد والبدع المخالفة لشرع الله:** لقد أمرنا الله عز وجل أن نتجنب تقليد غير المسلمين في سننهم وعاداتهم وتقاليدهم التي تخالف أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، وحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال: "لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر، وباعا بباع، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جُحر ضب لدخلتم فيه، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمن إذا" (رواه ابن ماجة).

كما أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بالاقتداء به وبالخلفاء الراشدين المهديين، فقال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار" (رواه الترمذي).

وتأسيسا على ذلك يجب على المستهلك المسلم تجنب كافة النفقات التي فيها تقليدٌ لمجتمعات لها عادات وتقاليد تخالف القيم والأخلاق والعادات والتقاليد الإسلامية، كما يجب على الحكومات الإسلامية أن تراقب كافة أجهزة الإعلام وكذلك المجلات والجرائد التي تدفع الشباب دفعا إلى مجاراة شباب الغرب المنحل في تقاليده السيئة، ويسبب إرهاقا لميزانية البيت والدولة ومدخلا لفساد العقيدة واضمحلال الأخلاق، وفي هذا الزمان، في ظل العولمة والمجلات والقنوات الفضائية، نرى معظم الشباب والفتيات يقلدون شباب الفرنجة ومن في حكمهم في الطعام والشراب والملبس والسلوك... وهذا أدى إلى آثار سلبية على أخلاقهم، كما ترتب على ذلك زيادة الطلب على الوارد من الخارج و هذا سبب كسادا في الصناعات الوطنية وانتشار البطالة.

ويتمثل البعد التربوي لذلك في أن الإنسان يقتدي بالصالحين والصالحات ولا يقتدي بالطالحين والطالحات حتى يشعر بالولاء والانتماء للدين والوطن.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



# غزوة خيبر

## زواج النبي صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حيي رضي الله عنها

إعداد: عبدالرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فمن الأحداث التي وقعت في أعقاب غزوة خيبر زواج النبي صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها، وكان هذا الحدث مجالا خصبا للحاقدين والحاسدين والمرجفين، وبخاصة أن هناك بعض الروايات في الصحيح ظاهرها التعارض وبعض الروايات الضعيفة، وقد استغل الذين في قلوبهم مرض هذه الأمور، وحاولوا النيل من مكانة النبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا عليه بغير علم؛ ذلك لأن قلوبهم لم تتذوق حلاوة الإيمان، ولم تتنسم نفوسهم بشاشته فلم يؤمنوا بالله ورسوله حق الإيمان ولم يعظموا الرسول ويوقروه كما أمرهم الله سبحانه في قوله تعالى: «إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» (الفتح:٨، ٩).

فالخطاب واضح للنبي أن الله أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا ومبشرا ونذيرا، فالخطاب له أولا، ثم للأمة التي يجب أن تؤمن بالله ورسوله وتعظم الرسول وتنصره، وتسبح ربها بكرة وأصيلا شكرا له سبحانه على هذه النعمة العظيمة، فالإيمان بالله والرسول والتعظيم والتوقير والنصر للرسول والتسبيح لله رب العالمين، وسنحاول بعون الله سبحانه في هذه الوقفة بيان الحق من مصادره ورد شبهات أهل الباطل، وسنسلك بعون الله المسالك الآتية:

### أولا: حقائق لابد أن تستقر في القلوب والعقول:

**الأولى:** في قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً» (الرعد:٣٨)، فالرسول ليس بدعا منهم والذين ينقمون على النبي الكريم تعدد ازواجه غفلوا عما جاء في كتبهم عن نساء داود وسليمان عليهما السلام، فقالوا عن داود عليه السلام كان له مئة امرأة زوجة غير الجواري، كما ذكروا عن سليمان أنه تزوج سبعمائة زوجة غير عدد الجواري، وبغض النظر عن ذلك فتعدد زوجات الأنبياء وغيرهم كان أمرا مألوفا لا غضاضة فيه حتى كان للرجل الواحد في الجاهلية من عشر إلى عشرين زوجة.

**الحقيقة الثانية: اختيار الله:**

الله سبحانه عالم الغيب والشهادة هو الذي اختار رسله، كما اختار رسوله محمدا واصطفاه، اختار له أصحابه: ألا يختار له زوجاته أمهات المؤمنين؟ وللتعدد في حياة النبي حكم بالغة ليس مجال عرضها الآن.

**الحقيقة الثالثة: عصمة الله لنبيه:**

وهنا أمور:

**أولا:** لقد عاش النبي صلى الله عليه وسلم حتى الخامسة والعشرين من عمره شابًا قويًا عزبًا نقيًا طاهرًا عفيفًا، وقد لقبه قومه بالصادق الأمين، بينما كان قومه للرجل الواحد منهم زوجات قد تصل إلى عشرين.

**الثاني:** تزوج النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله عنها وهي في سن الأربعين وكان هو ابن الخامسة والعشرين وظل معها زهرة شبابه وشيئا من كهولته حتى توفاها الله وهو في سن الخمسين من عمره ثم تزوج من السيدة سودة بنت زمعة، وكان عمرها خمسين سنة.

**الثالث:** لو كان الأمر أمر شهوة كما يدعي الأفاكون فما الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقضي معظم شبابه وجزءا من كهولته بين سيدتين كبيرتين في السن ولم يعدد معهما، هذا مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد آتاه الله قوة ثلاثين أو أربعين رجلا، لكن الله عصمه من فواحش الجاهلية وآثامها كما عصمه من الناس، قال الله عز وجل: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ» (المائدة:٦٧)، فكما أن الله سبحانه عصم نبيه من القتل حتى جاء أجله المسطور في اللوح المحفوظ كذلك فهذه بعض خصائص نبينا محمد خاصة والأنبياء عموما، لكن أكثر الناس لا يعلمون، ونعوذ بالله من الضلال والبهتان.

**ثانيا: قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من صفية بنت حيي رضي الله عنها:**

والآن وبعد عرض الحقائق السابقة التي يجب أن ترسخ في وجدان كل مسلم وأن يعلمها القاصي والداني حتى يقف كل إنسان عند حدوده ولا يتعداها، نبدأ الآن في بيان تفاصيل قصة زواج أم المؤمنين صفية من إمام المرسلين وخاتم النبيين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد، ونستعين بالله في دفع شبهات المبطلين.

**١-** في صحيح الإمام مسلم من حديث أنس رضي الله عنه والحديث طويل نورد منه الجزء الخاص بموضوعنا، قال أنس: «وَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً وَجُمِعَ السَّبْيُ فَجَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ، فَقَالَ اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ سَيِّدِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، مَا تَصْلُحُ إِلاَّ لَكَ. قَالَ: ادْعُوهُ بِهَا قَالَ فَجَاءَ بِهَا فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا، قَالَ: وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ مَا أَصْدَقَهَا؟ قَالَ: نَفْسَهَا؛ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرُوسًا، فَقَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ، قَالَ: وَبَسَطَ نِطَعًا قَالَ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالأَقِطِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ فَحَاسُوا حَيْسًا فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

**٢-** وفي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه: قَالَ صَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصُّبْحَ قَرِيبًا مِنْ خَيْبَرَ بِغَلَسٍ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ، فَخَرَجُوا يَسْعَوْنَ فِي السِّكَكِ فَقَتَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُقَاتِلَةَ وَسَبَى الذُّرِّيَّةَ وَكَانَ فِي السَّبْيِ صَفِيَّةُ فَصَارَتْ إِلَى دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا".

وقد أورد صاحب الطبقات الكبرى (١٢٣/٨) عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: «لما دخلت صفية على النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: لم يزل أبوك من أشد يهود لي عداوة حتى قتله الله». فقالت: يا رسول الله، إن الله يقول في كتابه: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» (الأنعام:١٦٤). فقال لها رسول الله: اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن يعتقك فتلحقي بقومك. فقالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث جدت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني بين الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أرجع إلى قومي. فأمسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه.

وهذه الرواية لها أصل من حديث أنس رضي الله عنه عند الإمام أحمد

وابن حبان والطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

تأمل رحمة النبي صلى الله عليه وسلم كيف ظل يبرر لها كيف قتل الله أباها بسبب شدة عداوته لله ورسوله، ولم يدفعه إلى ذلك إلا رحمته صلى الله عليه وسلم.

## ثالثا: استخلاص النتائج:

يمكن أن نستخلص النتائج التالية بعد عرض الأحاديث السابقة:

١- من رواية أنس في البخاري مع الفتح يعرض لنا الإمام البخاري نتيجة المعركة وهي انتصار جيش المسلمين على اليهود في خيبر وقد تم قتل المقاتلة منهم أي الرجال المقاتلين وكان عددهم ثلاثة وتسعين وبلغ عدد من استشهد من المسلمين عشرين، ثم سبي الذراري أي النساء والأطفال، وهذا النظام كان سائدا في ذلك الوقت، ومعترفا به في تلك الحقبة التاريخية بلا غضاضة.

أما لو سألت عن أسباب المعركة؟ فقد أجبنا عن هذا السؤال في عدد شهر المحرم الماضي وهو باختصار استمرار حقد اليهود على الإسلام والمسلمين وعداوتهم الشديدة لله ورسوله.

٢- أما في رواية مسلم فيظهر بوضوح عدم علم النبي صلى الله عليه وسلم بصفية أو غيرها، ولذلك قال لدحية: اذهب وخذ جارية من السبي دون تحفظ، ولم يعلم بصفية إلا من خلال مشورة الصحابي الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم أن صفية لا تصلح إلا للنبي؛ لأن أباها ملك وزوجها ملك.

٣- استرد النبي صلى الله عليه وسلم صفية من دحية بهذه الجارية التي لا يوجد مثلها في السبي؛ مما يخشى من تغير نفوس بعض الصحابة أو قد تتعالى على دحية بسبب علو مرتبتها.

قال الدكتور أبو شهبة في السيرة: «لم يرد النبي من زواجه من صفية قضاء شهوة أو إشباعا لغريزة جنسية كما يزعم الأفاكون، وإنما أراد إعزازها وصيانتها وتكريمها من أن تفترش لرجل لا يعرف شرفها ونسبها في قومها، ولم يكن هناك أليق مما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم معها، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي صلى الله عليه وسلم واليهود؛ عسى أن يكون هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام ويدعوهم للدخول فيه، والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بذلك مثلا عظيما في التسامح». (السيرة النبوية د. محمد أبو شهبة ج٢).

٤- لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم بها إلا بعد أن طهرت من حيضتها، وهذه عدة السبايا، وليس كما يظن من لا يعلم أن عدتها أربعة أشهر وعشرا.

٥- ولم يجامعها النبي صلى الله عليه وسلم وهي أمة، وكان يمكنه فعله ولن يلومه أحد.

٦- ولم يجامعها إلا بعد أن أعتقها وأسلمت وتزوجها.

٧- ولم يجبرها الرسول صلى الله عليه وسلم على شيء، بل خيرها بين الإسلام واليهودية فاختارت الإسلام، بل أسلمت قبل أن يدعوها الرسول صلى الله عليه وسلم.

٨- ولم يعاشرها النبي صلى الله عليه وسلم وهي مبغضة له بسبب قتل زوجها وأبيها وأخيها، فظل يعتذر لها ويقول: «إن أباك.. فعل وفعل». حتى ذهب ما في نفسها، كما جاء في حديث ابن عمر، رضي الله عنه، وحسنه الألباني عند ابن حبان.

٩- ويكفيها شرفا بعد إسلامها أن صارت زوجا لخاتم النبيين وإمام المرسلين وصارت أمًّا لكل مؤمن، وقد أكرم النبي صلى الله عليه وسلم معاملتها ومواساتها، صح عن أنس عند الترمذي وصححه: أنه بلغ صفية أن حفصة قالت: بنت يهودي، فبكت صفية، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: قالت حفصة: أني بنت يهودي، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، ففيم تفخر عليك، ثم قال: اتق الله فيها يا حفصة».

فصفية رضي الله عنها من نسل هارون بن عمران عليه السلام، وعمها موسى بن عمران عليه السلام، وهي زوجة نبي هو أفضل البشر محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وإمام المرسلين.

١٠- وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وتأمل كيف يختار الله لنبيه زوجاته أمهات المؤمنين، كما اختار له أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، لكن الذين لا يعلمون يفترون على الله الكذب، ويتهمون رسوله صلى الله عليه وسلم بالكذب وهم يعلمون. نسأل الله الثبات على دينه حتى نلقاه، والحمد لله رب العالمين.

# الفوائد والدرر من حديث موسى والخضر (عليهما السلام)

باب السنة

الحلقة الثانية

إعداد د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد ابتدأنا في الحلقة السابقة في الكلام عن قصة موسى والخضر عليهما السلام، وذكرنا أنها من روائع القصص لما ورد فيها من صحيح الآثار وعجائب الأخبار، وقد برز فيها من الفوائد العقدية والفقهية والتربوية ما ينبغي أن تشكر نعمته وتتفقد فوائده، وقد ذكرنا في الحلقة السابقة الحديث وتخريجه من الكتب الستة ثم ذكرنا غريب الحديث وبدأنا في ذكر بعض ما يستفاد منه؛ فذكرنا من ذلك أن أهل الإيمان يستقبلون نصوص الشرع بالتسليم والإذعان لا كما يستقبله أهل الزيغ والطغيان، وأن ألفاظ الغضب قد تجيء على غير الحقيقة في الغالب لذا ينظر إلى حقيقتها بعين الاعتبار، ثم ها نحن ذا نستكمل ما تيسر من الدرر بعد إعادة عرض حديث موسى والخضر عليهما السلام.

الحديث:

روى البخاري رحمه الله بسنده إلى سعيد ابن جبير رحمه الله قال: قلت لابن عباس إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر؟ فقال كذب عدو الله حدثنا أُبَيُّ بْنُ كَعْب، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ بِهِ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ، وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا وَنَامَا فَانْسَلَّ الْحُوتُ مِنَ الْمِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ قَالَ مُوسَى: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ (أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ) فَسَلَّمَ مُوسَى فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ قَالَ: سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الْخَضِرُ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ فَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ الْخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلاَّ كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفُورِ فِي الْبَحْرِ فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ فَنَزَعَهُ فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ: لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلاَمٌ

يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمان، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسه مِنْ أَعْلاهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَده فَقَالَ مُوسى: أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْر نَفْسٍ قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا فَانطلَقا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، فَوَجَدَا فيها جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ، فَأَقَامَهُ قَالَ الْخَضِرُ بِيَده فَأَقَامَهُ فَقَالَ لَهُ مُوسى: لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْه أَجْرًا قَالَ: هذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ قَالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّه مُوسى لَوَدِدْنَا لَو صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا).

واستكمالاً لبعض ما يستفاد من الحديث، نقول:

**التواضع سلعة غالية وعبادة مفقودة:**

وقد أمر الله بها أنبياءه، فعن عياض بن حمار رضي الله عنهُ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) رواه مسلم.

فإذا كان الله قد أمر بها نبيه صلى الله عليه وسلم كان العباد من دون الأنبياء أحوج لها وحالهم أدعى لاقتنائها، فأخلاقنا هي سلعتنا الغالية وبضاعتنا الرائجة، أكرمنا الله بها نحن أمة الاسلام على وجه الخصوص كما أنها ميراث الأنبياء عموما وقد قال الله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: ٩٠)،، ونبي الله موسى من أولي العزم من الرسل منزلته عالية ودرجته مرفوعة فهو من سادة عباد الله المتواضعين غير أن الله تبارك وتعالى أراد كونًا أن ينطق نبي الله بما نطق به لمن سأله عن أعلم من في الأرض لحِكَم لا يحصيها إلا الله، وموسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وهو كليم الله، ونزلت عليه التوراة ويعده العلماء في المرتبة الثالثة بين الأنبياء والمرسلين بعد سيدهم محمد وأبيهم إبراهيم عليهما الصلاة والتسليم، ومن كانت هذه حاله فحاشاه أن يكون عنده شيء من الكبر، وقد تكبد المشاق تواضعًا للقاء العبد الصالح وما استنكف عليه وعلى نبينا الصلاة و السلام.

هذا والتواضع يكون لله بمعنى الخضوع عقيدة وانقياداً ولا يكون إلا لله.

تواضع لرب العرش علك ترفع
فما خاب عبد للمهيمن يخضع

ويكون لعباد الله أدبًا وسلوكًا وكلاهما عبادة، وهذا سمت طيب النفس رفيع المكانة.

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر
على صفحات الماء وهو رفيع

وكما قال غيره:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة
فإن رفيع القوم من يتواضع

ثم إنه مما يعين على هذا أن يعلم العبد حقيقة أمره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء: ٣٧).

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا
فكم تحتها قوم هموا منك أرفع

**العلم فريضة شرعية وضرورة حياتية:**

وطلب العلم الشرعي فريضة شرعية والنافع من العلم عموما ضرورة حياتية، والآيات والأحاديث في تأصيل هذا لا حصر لها كقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال: سمعت رَسُول اللَّه يقول: (من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر) رَوَاهُ

أبو داود والترمذي.

ثم كان من فضل هؤلاء العلماء أن أمر الناس بالرجوع إليهم في حالة جهلهم أو خلافهم، كما كان من سعيد بن جبير مع ابن عباس رضى الله عنهما وكما قال الله: (فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النحل: ٤٣)، وكما قال الله (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ) (النساء: ٨٣).

### الرحلة في طلب العلم من شيم السلف الصالح:

هذا، ولما كان فضل طلب العلم كذلك؛ نالت الرحلة في طلبه هذا الفضل وزيادة، مهما كانت درجة طالبه، إذ العلم بحر لا ساحل له، فقد رحل إليه الأنبياء والمرسلون، وقصص السلف في ذلك وافرة وليس أدل من أن يصنف السلف في ذلك مصنفات مستقلة كما فعله الخطيب في كتابه (الرحلة في طلب الحديث)؛ فليراجعه من شاء فهو ماتع في بابه.

### من آداب العالم والمتعلم:

وللعالم والمتعلم آداب عنى بها العلماء أكثر من عنايتهم بالتحصيل إذ الخلق غاية والتحصيل وسيلة إليه كما قال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وقد امتلأ الحديث ببعض منها: كخدمة أهل الفضل وصبر المعلم على تلميذه وصبر الطالب على شيخه والتماس الأعذار من كل وغيره كثير في مظانه مثل: (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، واقتضاء العلم العمل له كذلك، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، تعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي ومن المعاصرين حلية طالب العلم للشيخ بكر أبي زيد رحمه الله).

### ومن الفوائد العقدية:

- أن الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام فقد قبل ابن عباس خبر أبي بن كعب وهو يحدثه عن أخبار الأنبياء، وأخبار الأنبياء من علم الغيب الذي هو جزء من العقيدة، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم الآحاد من المسلمين يبلغون الناس عقيدة التوحيد، وفي مثل ذلك رسالة بهذا العنوان للشيخ الألباني رحمه الله وقد منَّ الله عليَّ برسالة دكتوراه بعنوان: دور الحديث النبوي في التأصيل العقدي والرد على المخالفين، وما أكثرهم وتشعب حججهم في هذا الزمان! وقد انتهينا فيها بإشراف عميد كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر الشريف ومناقشة رئيس قسم العقيدة بالأزهر والشريعة بدار العلوم إلى أن السنة النبوية حجة بمفردها في العقائد والأحكام.

### - معجزات الأنبياء حق:

كما أجرى الله لموسى معجزة الحوت المملح الميت والتي فيها كذلك دليل مشاهد على عقيدة البعث، والتي ينكرها اللادينيون.

### - الأنبياء بشر:

الخضر بشر لا يعلم الغيب؛ إذ لا يعلم الغيب إلا الله، لذا طلب من موسى أن يعرفه بنفسه.

- والنسيان في حق الأنبياء جائز؛ إذ هم من جملة البشر، فقد نسي موسى ويوشع أمر الحوت حتى جاوزا المكان، غير أنه لا يجوز في حق الله إذ قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (مريم: ٦٤).

- صلاح الآباء سبب من أسباب صلاح الأبناء؛ وتلكم فائدة تربوية وعبرة حياتية جعلتها في خاتمة البحث هدية، وهذا كما حصل مع الأيتام، والشواهد على ذلك في الحياة المعاصرة كثيرة، ومن دليله غير ما ذكرنا كما قال الله: (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا) (النساء: ٩).

والحمد لله رب العالمين

قواعد وآداب في التعامل بين الشيوخ والشباب

# متى وكيف تحكم على المخالف؟

**الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ: فلا يزال حديثنا موصولاً عن القواعد الشرعية والآداب الاجتماعية في التعامل بين الشيوخ والشباب، ونتحدث اليوم عن قضية «الحكم على المخالف»، فنقول وبالله تعالى التوفيق.**

الحلقة الرابعة

إعداد: د/عبد الرحمن بن صالح الجيران

إن تميز موقف أهل السنة والجماعة بالعدل والتسامح وخاصة مع المخالفين من أهل القبلة لمن الأمور التي تفردت بها عن غيرها، فهم لا يتسرعون في الحكم على المخالف إذا كان مجتهدًا أو مخطئًا في اجتهاده؛ سواء كان الاجتهاد في مسألة من مسائل العقيدة والإيمان أو المسائل العملية، إذا كان مقصوده الحق بدليله، فهو إذن في هذه الحال معذور مأجور على اجتهاده، وهذا مقتضى دلالة النصوص العامة القاضية بعدم المؤاخذة فوق الوسع والطاقة، مثل قوله تعالى: « وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (الأعراف:٤٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسًا ما تعجز عنه، خلافًا للجهمية المجبرة، ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطئ المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر ومفت وغير ذلك، إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع؛ كان هذا هو الذي كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع».

ومصداق ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر». (متفق عليه).

وتأسيسًا على ما سبق نقول: لا يحكم على المخالف بالمخالفة إلا بعد تحقق أصلين مهمين وهما:

الأول: دلالة الكتاب والسنة على أن القول أو الفعل الصادر من المحكوم عليه موجب للكفر أو الخروج عن المنهج.

الآخر: انطباق هذا الحكم على القائل المعين، أو الفاعل المعين بحيث يتم الشروط في حقه وتنتفي الموانع.

ويزيد العلامة الألباني رحمه الله الأمر الثاني وضوحًا بقوله: فإننا «لا نحكم على الإنسان بالمخالفة بمجرد وقوعه في البدعة حتى يكون قصده مخالفة السنة بهذه البدعة».

ومن هنا نعلم حقيقة بطلان قول من يقول: إن أهل السنة يكفرون جميع المتأولين المخالفين يقول شيخ الإسلام: «وهذا القول لا يُعرَف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو في الأصل من أقوال أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم كالخوارج والمعتزلة والجهمية». (منهاج السنة ٥/٢٤٠).

### كيف نحكم على المخالف؟

هناك ضوابط وشروط لا بد منها قبل الشروع في الحكم على المخالف، فلا يكون لطلبة العلم فضلاً عن عامة النّاس بل هو حق العلماء الراسخين في العلم، وعليه نقول من باب التذكير فقط: إنّه لا بد من العلم بجنس المسائل المتنازع فيها، ومن أي باب يكون الكلام حولها؟ وهل المصلحة تقتضي الكلام فيها؟ أم أنَّ المفاسد تربو وتزيد عليها؟

كما أنّه لا يجوز جعل الشيء حقًا أو باطلاً بالشبهات والظنون وخاصة أيام الفتن التي يكثر فيها القيل والقال.

كما يجب العلم بعدم تقرير مذاهب العلماء وأقوالهم من إطلاقات الجمل والعمومات من العبارات، وهنا يوضح لنا شيخ الإسلام خطورة هذا المسلك بقوله: «وأخذ مذاهب الفقهاء من الإطلاقات من غير مراجعة لما فسروا به كلامهم وما تقتضيه أصولهم يجر إلى مذاهب قبيحة».

وللحديث بقية إن شاء الله.

# درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٦٤)

٥٨٧- «أمر النبيُّ صلى الله عليه وسلم عليًّا رضي الله عنه أن يتخذ زَوْجَ حمامٍ يذكرُ الله عز وجل عنده هَديله، عندما شكا له الوحشة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٣١٠) قال: حدثني علي بن إسحاق بن رداء، حدثنا محمد بن يزيد المستملي، حدثنا الحسين بن علوان عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان معاذ بن جبل مرفوعًا، وعلته الحسين بن علوان، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٤/١): «حسين بن علوان من أهل الكوفة كان يضع الحديث على الثقات وضعًا، لا تحل كتابة حديثه إلا على جهة التعجب، كذَّبه أحمد ابن حنبل رحمه الله».

٥٨٨- «إياكم ورَضَاع الحمقى؛ فإن رضاع الحمقى يُعْدِي».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٦٠/٢) (٤٨٩/١٢٠) من حديث الحسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا، وآفته الحسين ابن علوان، وقد بيَّنا أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه آنفًا، وتبيَّن أنه كذاب يضع الحديث، وقال ابن عدي: له أحاديث كثيرة، وعامتها موضوعة.

٥٨٩- «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دهَن بدهن جعل في راحته اليسرى، وبدأ بحاجبيه، ثم شاربه، ثم لحيته، ثم رأسه».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٥/١) من حديث عائشة، وعلته الحسين بن علوان، وقال ابن حبان بعقب هذا الحديث: وما يشبه هذا مما يكثر ذكره، إذا سمعه من ليس الحديث صناعته اتهمه بالوضع». اهـ.

٥٩٠- يكون في آخر الزمان عُبَّادٌ جُهالٌ وقُراءٌ فسقةٌ.

الحديث لا يصح: خَرَّجه وحققه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٥٨/١) فقال:

«حديث يكون في آخر الزمان عباد جهال .. رواه الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف». اهـ.

قلتُ: لا بد من معرفة العلة والتي بها تعرف درجة الضعيف، فقد زلت بعدم المعرفة أقدام وضلت أفهام، فهذا الحديث أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٥/٤) من حديث يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس مرفوعًا، وسكت عنه الحاكم فتعقبه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «يوسف هالك». اهـ. وهو حديث «غريب» كما بين ذلك أبو نعيم في «الحلية» (٣٣٢/٢) فقال بعد أن أخرجه: «هذا حديث غريب من حديث ثابت لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية». اهـ.

٥٩١- «أيما ناشئ نشأ في طلب العلم والعبادة حتى يكبر، أعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنتين وسبعين صِدِّيقًا».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥٣/٨) (ح٧٥٩٠) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وعلته يوسف بن عطية الصفَّار، وهو كما بينا آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل: هالك لا تحل الرواية عنه، وقال الإمام النسائي في «المتروكين» (٦١٧): «متروك».

٥٩٢- «إن ابن آدم لحريص على مُنِعَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٢٣١/١) (٨٨٥) من حديث يوسف بن عطية عن هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا، وهو مسلسل بالعلل: يوسف بن عطية هالك منكر متروك كما بينا آنفًا، وقال الذهبي في «الميزان» (٩١٦٩/٢٨٦/٤): «هارون مجهول وزيد عن أبيه نكرة». اهـ. وذكره الحافظ ابن حجر في «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس» (ح٨٤١).

٥٩٣- «الظلمةُ وأعوانهم في النارِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٤٧٠/٢) (ح٤٠٠٠) من حديث حذيفة مرفوعًا وعلته عنبسة بن عبد الرحمن كما في «الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس» (ح٢٠٠٢)، قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤٠٣/٦): «سألت أبي عن عنبسة بن عبد الرحمن القرشي فقال: هو متروك الحديث كان يضع الحديث». اهـ.




# باب الطهارة

(الحلقة الثالثة)

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

**بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

**أما بعد: فبعد أن بيَّنا أنواع الإفرازات الخارجة من المرأة وحكمها، يجدر بنا أن نبين أنواع الدماء الخارجة من المرأة وأحكامها، ولا يخفى أن معرفة المرأة لهذه الأنواع وأحكامها من الأهمية بمكان، وسأبدأ بذكر الحيض لأهميته وعظم ما يترتب عليه من أحكام.**

قال ابن نجيم في البحر الرائق (١٩٩/١): "ومعرفة مسائل الحيض من أعظم المهمات، لما يترتب عليها ما لا يُحصَى من الأحكام؛ كالطهارة، والصلاة، وقراءة القرآن، والصوم، والاعتكاف، والحج، والبلوغ، والوطء، والطلاق، والعدة، والاستبراء وغير ذلك من الأحكام، وكان من أعظم الواجبات؛ لأن عظم منزلة العلم بالشيء بحسب منزلة ضرر الجهل به، وضرر الجهل بمسائل الحيض أشد من ضرر الجهل بغيرها فيجب الاعتناء بمعرفتها، وإن كان الكلام فيها طويلاً فإن المُحصِّل يتشوف إلى ذلك".

## أولاً: الحيض

### تعريف الحيض لغة:

حاضت المرأة تحيض حيضًا ومحيضًا، والمحيض يكون اسمًا ويكون مصدرًا، وجمع الحائض: حوائض وحُيَّض، وقال المبرد: سمي الحيض حيضًا من قولهم حاض السيل إذا فاض، والحيضة: المرة الواحدة من دفع الحيض ونوبه، والحيضات جماعة، وقيل: الحيضة الدم نفسه. وفي الحديث: "إنَّ حَيْضَتَكِ لَيْسَتْ فِي يَدِكِ" -أخرجه مسلم (٢٩٨).

والحيضة، بالكسر: الاسم من الحيض والحال التي تلزمها الحائض من التجنب، والتحيض كالجلسة والقعدة من الجلوس والقعود، وتحيضت المرأة إذا قعدت أيام حيضتها تنتظر انقطاعه، يقول: عدي نفسك حائضًا وافعلي ما تفعل الحائض، وحاضت المرأة: أي بلغت سن المحيض وجرى عليها القلم. والحِيضَة: الخرقة التي تستثفر بها المرأة، وفي الحديث قيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَتَتَوَضَّأُ مِنْ بِئْرِ بُضَاعَةَ وَهِيَ بِئْرٌ يُطْرَحُ فِيهَا لُحُومُ الْكِلَابِ وَالْحِيَضُ وَالنَّتْنُ؟ فَقَالَ: «الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ» سنن أبي داود (٦٦)، وسنن الترمذي (٦٦) سنن النسائي (٣٢٦) قال النووي في المجموع (١٢٧/١) حديث صحيح، وصححه الحافظ في التلخيص (١٢٧)، ويقع المحيض على المصدر والزمان والدم- لسان العرب لابن منظور (١٤٢/٧، ١٤٣).

### تعريف الحيض عند أصحاب المذاهب الأربعة:

قال الكاساني الحنفي في بدائع الصنائع (٣٩/١): "الحيض اسم لدم خارج من الرحم لا يعقب الولادة، مقدر بقدر معلوم في وقت معلوم".

وقال ابن جزي المالكي في القوانين الفقهية

(ص:٣١): " الحيض هو الدم الخارج من فرج المرأة التي يمكن حملها عادة، من غير ولادة، ولا مرض، ولا زيادة على الأمد".

وقال الخطيب الشربيني الشافعي في مغني المحتاج (٢٧٧/١): "الحيض دم جبلة، يخرج من أقصى رحم المرأة، بعد بلوغها، على سبيل الصحة، من غير سبب، في أوقات معلومة".

وقال البهوتي الحنبلي في شرح منتهى الإرادات (١١٠/١): "دم طبيعة وجبلة، يرخيه الرحم، يعتاد أنثى إذا بلغت، في أيام معلومة".

## ألوان دم الحيض

### ١- السواد:

عن فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ»- صحيح سنن أبي داود (٢٨٦)، والنسائي (٣٦٣)، والإرواء (٢٠٤).

### ٢- الصفرة والكدرة:

الصفرة: هي لون من ألوان الدم إذا رق، وقيل هو كصفرة السن، أو كصفرة التبن، وأما الكدرة فلون كلون الماء الكدر- المبسوط للسرخسي (١٥٠/٣).

قال إمام الحرمين: "هما شيء كالصديد يعلوه صفرة وكدرة ليسا على لون شيء من الدماء القوية ولا الضعيفة". (المجموع للنووي: ٣٨٩/٢).

**اختلف الفقهاء في الصفرة والكدرة هل تعد حيضًا أم لا؟ على ثلاثة أقوال:**

**القول الأول:** الصفرة والكدرة في أيام الحيض حيض وفي غير أيام الحيض لا تعد حيضًا. وإليه ذهب الحنفية (المبسوط للسرخسي ١٥٠/٣)، والحنابلة (المغني لابن قدامة ٢٤١/١).

وقال أبو يوسف: إن رأت الكدرة في أول أيام الحيض لم يكن حيضًا، وإن رأته في آخر أيام حيضها كان حيضًا- (المبسوط ١٥٠/٣).

واستدلوا على أن الصفرة والكدرة في أيام الحيض حيض وفي غير أيام الحيض لا تعد حيضًا:

بحديث عائشة: «كُنَّ نِسَاء يَبْعَثْنَ إِلَى عَائِشَةَ بِالدُّرجَةِ فِيهَا الكُرْسُفُ فِيهِ الصُّفْرَةُ فَتَقُولُ: لَا تَعْجَلْنَ حَتَّى تَرَيْنَ القَصَّةَ البَيْضَاءَ، تُرِيدُ بِذَلِكَ الطُّهْرَ مِنَ الحَيْضِ» ــ رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم. (انظر: فتح الباري ٤٢٠/١).

وعن أم عطية قالت: «كُنَّا لَا نَعُدُّ الْكُدْرَةَ وَالصُّفْرَةَ شَيْئًا»- أخرجه البخاري (٣٢٦).

وفي رواية «كنا لا نعد الكدرة، والصفرة بعد الطهر شيئًا» رواه أبو داود (٣٠٧)، وصححه الألباني.

قال الحافظ في الفتح (٥٠٧/١): "قوله: (باب الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض) يشير بذلك إلى الجمع بين حديث عائشة المتقدم في قولها: «حَتَّى تَرَيْنَ القَصَّةَ البَيْضَاءَ» وبين حديث أم عطية، بأن ذلك محمول على ما إذا رأت الصفرة أو الكدرة في أيام الحيض، وأما في غيرها فعلى ما قالته أم عطية".

جاء في نيل الأوطار للشوكاني (٣٤٠/١): بعد أن ذكر حديث أم عطية المتقدم قال: "والحديث يدل على أن الصفرة والكدرة بعد الطهر ليستا من الحيض وأما وقت الحيض فهما حيض".

وجاء في المغنى لابن قدامة الحنبلي (٢٤٣/١): "إذا رأت في أيام عادتها صفرة أو كدرة فهو حيض، وإن رأته بعد أيام حيضها لم يعتد به. نص عليه أحمد.. واستدل بحديث عائشة وأم عطية كما ذكرنا في الباب".

واستدل أبو يوسف على أن الكدرة في أول أيام الحيض ليست حيضًا، وفي آخر أيام الحيض تعد حيضًا: بأن الكدرة من كل شيء تتبع صافيه، فإذا تقدمها دم أمكن جعل الكدرة حيضًا تبعًا، فأما إذا لم يتقدمها دم فلو جعلناه حيضًا كان مقصودًا لا تبعًا. (المبسوط ١٥٠/٣).

**القول الثاني:** الصفرة والكدرة حيض مطلقًا، سواء أكانت في أيام الحيض أو في غير أيام الحيض. وهو ما ذهب إليه المالكية (المدونة ١٥٢/١)، والشافعية في الأصح بشرط أن يكون في زمان الإمكان (مغني المحتاج ٢٨٤/١).

جاء في المجموع شرح المهذب للنووي (٣٨٨/٢) "والمذهب أنه حيض لأنه دم صادف زمان الإمكان ولم يجاوزه فأشبه إذا رأت الصفرة

والكدرة في أيام عادتها".

القول الثالث: الصفرة والكدرة ليست حيضًا مطلقًا، لا في أيام الحيض ولا في غير أيام الحيض، وهو ما ذهب إليه ابن حزم (المحلى بالآثار ١/٣٨٣) والشافعية في الجديد (مغني المحتاج ١/٢٨٤).

واحتجوا على أن الصفرة والكدرة ليست حيضًا مطلقًا:

بما روي عن فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ» - صحيح سنن أبي داود (٢٨٦)، والنسائي (٣٦٣)، والإرواء (٢٠٤).

فدل على أن ما عدا الدم الأسود من صفرة أو كدرة أو غير ذلك لا يعد حيضًا، ولا يمنع من صلاة ولا من صوم ولا من وطء- المحلى بالآثار (١/٣٨٩).

وعن أم عطية قالت: «كُنَّا لَا نَعُدُّ الْكُدْرَةَ وَالصُّفْرَةَ شَيْئًا» - أخرجه البخاري (٣٢٦).

فدل الحديث على أن الصفرة والكدرة لا تعد شيئًا لا قبل الطهر ولا بعد الطهر- المحلى بالآثار (١/٣٨٥).

الراجح: بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم يترجح لدي القول الأول القائل بأن الصفرة والكدرة في زمان الحيض تعد حيضًا، وفي غير زمان الحيض لا تعد حيضًا، وذلك جمعًا بين حديث عائشة رضي الله عنها وحديث أم عطية؛ فإن إعمال كلا الدليلين أولى من إهمال أحدهما، والله تعالى أعلم.

### مدة الحيض:

تنازع العلماء في أقل مدة للحيض وأكثر مدة له؛ فمنهم من قال: أقل مدة يوم وليلة وأكثر مدة خمسة عشر يومًا، ومنهم من قال: لم يرد نص يبين أقل مدة للحيض أو أكثر مدة.

ونذكر بعض أقوال أهل العلم في المسألة:

جاء في المغني لابن قدامة الحنبلي (١/٢٢٨): "قال الخلال: مذهب أبي عبد الله لا اختلف فيه: أن أقل الحيض يوم وأكثره خمسة عشرة يومًا. وقيل عنه: أكثره سبعة عشر يومًا. وللشافعي قولان، كالروايتين في أقله وأكثره، وقال الثوري وأبو حنيفة وصاحباه: أقله ثلاثة أيام وأكثره عشرة... ثم قال ولنا: إنه ورد في الشرع مطلقًا من غير تحديد. ولا حد له في اللغة ولا في الشريعة، فيجب الرجوع فيه إلى العرف والعادة".

قال الشوكاني في السيل الجرار (١/٣٣٧): "لم يأت في تقدير أقل الحيض وأكثره ما يصلح للتمسك به، بل جميع الوارد في ذلك إما موضوع أو ضعيف، والذي ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: «تَمْكُثُ إِحْدَاهُنَّ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ لَا تُصَلِّي» اهـ. أصل الحديث أخرجه البخاري (٣٠٤)، وفيه: "... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟» قلن بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها» وأخرجه مسلم (٨٠) باختلاف.

سُئل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢١/٦٢٣) عما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الحيض للجارية البكر ثلاثة أيام ولياليهن، وأكثره خمسة عشر: هل هو صحيح؟

فأجاب: أما نقل هذا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو باطل، بل هو كذب موضوع، باتفاق علماء الحديث. ولكن هو مشهور عن أبي الخلد عن أنس، وقد تُكلم في أبي الخلد.

وأما الذين يقولون: أكثر الحيض خمسة عشر، كما يقوله: الشافعي وأحمد ويقولون: أقله يوم، كما يقوله الشافعي وأحمد، أو لا حد له كما يقوله مالك، فهم يقولون: لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه في هذا شيء، والمرجع في ذلك إلى العادة، كما قلنا. والله أعلم. انتهى.

وهذا هو الراجح عندي كما قال شيخ الإسلام، والله أعلم.




# العبوديَّةُ في السرَّاء والضرَّاء

إعداد د/خالد بن علي الغامدي
إمام المسجد الحرام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فاتَّقُوا الله -أيها المُسلمون-، واتَّقُوا النارَ ولو بشقِّ تَمرة، ولو بكلمة طيبة؛ فإنَّ الجنةَ حُفَّت بالمكاره، وإن النارَ حُفَّت بالشَّهوات.

واعلَموا أن البِرَّ لا يَبلَى، والإثم لا يُنسَى، والديَّانَ لا يموت، وكما تَدينُ تُدان، (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

معاشرَ المُسلمين: ما من إنسانٍ في هذه الحياة إلا وهو يتقلَّبُ بين حالتَين لا ينفَكُّ عنهما: فإمَّا أن يكسُوه الله لباسَ النِّعمة والسرَّاء، وإما أن تُنزعَ منه فتُصيبُه حالةُ الضرَّاء والبُؤس والبأساء.

ولا يخلُو أحدٌ من بني البشر من هاتَين الحالتَين حتى يقضيَ أجله في هذه الحياة، كما قال الله: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (الأنبياء: ٣٥).

فيَومٌ علينا، ويومٌ لنا، ويومٌ نُساءُ، ويومٌ نُسَرُّ.

وليس الشأنُ في هذا التقلُّب بين السرَّاء والضرَّاء فهو حَتمٌ لا مناصَ منه، إنما الشأنُ كلُّ الشأن في كيفيَّة التعامُل معهما، ومدَى استثمار العاقلِ المُوفَّق، واغتنامه لحالتَي النَّعماء والبَلواء بما يُقرِّبُه من ربِّه ويُرضيه عنه، وبما ينفَعُه في حياته ودُنياه وآخرته.

ولقد بيَّن لنا ربُّنا -سبحانه وتعالى- كيفيَّة تعامُل الإنسان من حيث طبيعتُه الإنسانيَّة مع حالتَي النَّعماء والضرَّاء، فقال -سبحانه-: (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ) (هود: ٩، ١٠)، وقال -سبحانه-: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) (فصلت: ٥١).

فالإنسانُ من حيث هو إنسان يُسرفُ في الفرَح بالنَّعماء والسرَّاء، ويظنُّ أن اللهَ -عزَّ وجل- قد اختصَّه بها لكرامته عنده؛ حتى يصِلَ إلى حدِّ الأشَر والبطَر والفخر، وينسَى أنها نعمةٌ لله، ولو شاءَ الله لنزَعَها منه في لَمح البصر، (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ) (الزمر: ٨).

وفي المُقابل نجد أنه يجزَع ويتسخَّط ويقنَطُ من رحمةِ الله إذا ابتُلِيَ بالضرَّاء،

ونُزعَت منه العافيةُ والرحمةُ؛ حتى يصلَ به الحالُ إلى اتِّهام الله في قدره، والاعتراض عليه في قضائه، كما قال-سبحانه-: (وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ) (فصلت: ٤٩)، وقال: (وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ) (الفجر: ١٦).

وتلك فتنة.. وأيُّ فتنة؟! ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلَمون!

هكذا هو الإنسان، وهذه هي طبائعُه، إلا صنفًا مُوفَّقًا من الناس استثناه الله بقوله: (إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ) (هود: ١١).

إنهم المؤمنون الصادقون الذين صدَقُوا مع الله، وشكرُوا وصبرُوا في حالتَي السرَّاء والضرَّاء، فوفَّقهم ربُّهم لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وعلمُوا أن لله-تعالى- عليهم عبوديَّةً في حالة النَّعماء والسرَّاء، كما له-سبحانه- عبوديَّةٌ في حالة الضرَّاء والبَلواء.

فسعوا وبذلُوا جُهدَهم في تكميل هاتَين العبوديَّتين حتى سُعدُوا في حياتهم، وهنئُوا في عَيشهم، ورضُوا عن الله في الحالتَين، فرضيَ الله عنهم وأرضاهم، وما كان ليُوفَّق إلى تلك العبوديَّة إلا المُؤمن.

كما ثبَت في "صحيح مسلم": عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: "عجبًا لأمر المُؤمن إن أمرَه كلَّه خير، وليس ذلك لأحد إلا للمُؤمن؛ إن أصابَتْه سرَّاء شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضرَّاء صبرَ فكان خيرًا له".

فالمُؤمنُ الصادقُ هو أسعَدُ الناس حظًّا بربِّه، وأكمَلُ الناس استمتاعًا بهذه الحياة ولذَّاتها، وأعقَلُ الناس وأحسَنُهم تصرُّفًا في حالتَي الضرَّاء والسرَّاء التي لا ينفكُّ عنهما أحدٌ من البشر.

أيها المُسلمون: إن لله-تعالى- على عبده عبوديَّة في حالة الضرَّاء وما يُحبُّ، وله عبوديَّة في حالة السرَّاء وفيما يكرَه، وهاتان العبوديَّتان هما رُكنا السعادة وقُطبَا رحاها، ومَن كمَّلَهما وأتى بهما فلا أسعَدَ منه، ولا أشرَحَ صَدرًا، ولا أكمَلَ طُمأنينةً وسَكينةً منه.

إن نعمَ الله على عباده كثيرةٌ ومُتنوِّعةٌ، وهي تدورُ بين نوعَين:

أعظَمُهما وأجلُّهما قَدرًا: النِّعمُ الدينية الشرعيَّة، والعطايا القلبيَّة الإيمانيَّة، والمِنَحُ الرُّوحيَّة والأخلاقيَّة، وأعظَمُها: نعمةُ التوحيد والإيمان، ونعمةُ العلم والبصيرة والفقه في الدين، ونعمةُ الاجتماع والأُلفة والاعتصام بالكتاب والسنَّة.

والنوعُ الثاني: النِّعمُ الدنيويَّة والمُتَعُ الماديَّة والمعنويَّة التي تُعينُ العبدَ على النِّعم الدينيَّة، وتكسبُه بهجة الاستمتاع بالمُباحات والطيِّبات؛ كنعمة العافية في الأبدان، والأمن في الأوطان، وعدل السُّلطان، ونعمة الأزواج والأولاد والأموال، وغير ذلك.

وكلا النَّوعَين نعمٌ من الله إيجادًا وابتداءً وإمدادًا، ( وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ) (النحل: ٥٣)، (وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ) (إبراهيم: ٣٤).

فالمُؤمنُ الصادقُ أمامَ نعم الله المُترادفة عليه يقومُ لله بعبوديَّة الشُّكر والحمد والاعتراف له بأنَّها منه وله، وأنَّها محضُ تكرُّم منه-سبحانه-، وتفضُّل على عباده، ثم يشكُرُ الله-سبحانه- بلسانه وجوارحه، ولا يستعملُ هذه النِّعم إلا فيما يُرضِي الله-سبحانه وتعالى-، فمَن فعلَ ذلك فقد أدَّى شُكرَ النِّعمة، وقامَ لله بعبوديَّة السرَّاء، واستحَقَّ جزاءَ الشاكرين الحامدين الذي جاءَت النُّصُوصُ مُتكاثرة ببيانه وبيان فضل الشُّكر ومكانته، وأنه فريضةُ الله على عباده.

كقوله-سبحانه-: (كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ) (سبأ: ١٥)، وقوله: (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ) (الأنعام: ٥٣).

أيُّها المُسلمون: إنَّ عبوديَّة الشُّكر هي قَيدُ النِّعم، وسرُّ بقائها وديمومتها وزيادتها، ( وَإِذْ

﴿ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

وما حُفظَت النعم ولا قُيِّدت بمثل الشكر والحمد، ولا فرَّت ونفرَت وشرَدَت ومُحقَت بركتُها بمثل البطر والأشر، واستعمالها فيما حرَّم الله. وهذا هو عينُ كفران النِّعم، كما قال- سبحانه-: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢).

وتلك سُنَّةُ الله التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر، وكما قصَّ الله علينا نبأ قارُون الذي آتاه الله من الكنوز والأموال ما لا يُوصَف، فجحَدَ نعمةَ الله عليه غرورًا وبطرًا، ونسيَ كيف كان قبل نعمة الله عليه، وقال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (القصص: ٧٨)، فخسَفَ الله به وبداره الأرض، وجعلَه عبرةً للمُعتبرين.

وإن من أقسى صُور السَّلب بعد العطاء وأمرِّها: أن يُسلَبَ الإنسانُ في حياته لذَّةَ الطاعة والإنابَة، وخُشوعَ القلب وزكاةَ النَّفس، والفرحَ بالله، وقُرَّة العين بالحياة مع الله- سبحانه وتعالى- والأنس به.

ويبلغُ السَّلبُ بعد العطاء ذروتَه حين يُسلَبُ العبدُ الإيمان وشهادة الحقِّ في ساعة الاحتضار، وعند سكرَات الموت، فيُعاقَبُ بسُوء الخاتمة، وشَناعَة النِّهاية، وموتة الأسَف، ولا يُوفِّقُه الله لخاتمة حسنة وميتة مرضيَّة سويَّة.

ولعمرُ الحقِّ! إنها لمن أعجب صُور سَلب النِّعم بعد العطاء، كحال فرعون الذي طغَى وبغَى وكفَرَ بالله ونعمه، ثم لما أدركه الغرقُ وعايَنَ الموتَ ذهَبَ ليُؤمن، فقيل له: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (يونس: ٩١)؛ إنها لعبرة.. وأيُّ عبرة؟! ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون!

أمة الإسلام: وإن من العطايا الربَّانيَّة والمنن المرعيَّة التي تستوجبُ الشكرَ والحمدَ: نعمةَ الأمن والأمان التي امتنَّ الله بها على عباده، ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ (قريش: ٤)؛ ولفتَ إليها الأنظارَ والعُقولَ بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ (العنكبوت: ٦٧).

إن شُيُوعَ الأمن في مُجتمعات المُسلمين عامَّةً ضرورةٌ شرعيَّة وحياتيَّة؛ لتستقيمَ حياةُ الناس، ويقُومُوا بعبادة ربِّهم.

أيها المُسلمون: قال أنس - رضي الله عنه-: "إن الإيمانَ نصفَان: نصفٌ شُكرٌ، ونصفٌ صبرٌ".

وهذا يدلُّ على أن تحقيقَ هاتَين العبوديَّتين علامةُ الإيمان الصحيح، وكما أن لله عبوديَّةً على عبده في حالة السَّرَّاء والنَّعماء بالشُّكر والحمد، فكذلك له-سبحانه- على عبده عبوديَّةٌ بالصبر والرِّضا في حالة البلاء والضرَّاء، تلك الحالةُ التي لا ينفكُّ عنها إنسانٌ أبدًا.

فمَن ذا الذي لم يُبتلَى بمرض وسُقم، أو فقر وذُلٍّ، أو نقص في الأموال والأنفُس والثَّمرَات، أو تغيرُ حالٍ وهمٍّ وغمٍّ وحُزن، أو أذيَّة حاسد وحاقد، أو إدالة الأعداء وانتصارهم على المُسلمين؟!

ولو نجَا من ذلك أحدٌ لنجَا الأنبياءُ والمُرسَلون الذين هم أكرَمُ الخلق على الله، وهم أشدُّ الناس بلاءً وامتحانًا، والرجُل يُبتلَى على قدر دينه.

إن الابتلاءَ بالضرَّاء والبأساء سُنَّةٌ ماضية، وحتميَّةٌ قدَريَّة، والمُسلمُ العاقلُ لا يملكُ أمام ذلك إلا أن يرضَى ويُسلِّم أمرَه لله ويصبر، وهو يعلَمُ أن لله في ذلك الابتلاء حِكَمًا وغايات ظاهرة وخفيَّة.

ثم هو أيضًا لا يكتفِي بالرِّضا والصبر فحسب؛ بل يتَّخذُ كلَّ الوسائل المُمكنة المشرُوعة لدفع ذلك الابتلاء ورفع الضرَّاء، فيدفعُ قدَرَ الله بقدَر الله بالأسباب الشرعيَّة، ويتوكَّل على الله ويستَعينُ به، ولا يتواكَلُ ولا يتخاذَلُ ولا يضعُفُ؛ فالمُؤمنُ القويُّ أحبُّ إلى الله من المُؤمن الضَّعيف.

والله -تعالى- يُحبُّ من عبده أن يسعى في رفع الضَّرر وإزالة البلاء؛ حتى لا يقع فريسة اليأس والقُنوط من رحمة الله، فيضعُفُ عن مُواجهة البلاء، فيجزعُ ويخنعُ وينهزمُ، ويستولي عليه الشيطان.

إن المُؤمنَ الصادقَ تظهرُ عبوديَّتُه لربِّه -سبحانه- أعظمَ ما تظهر حين يُصابُ ببلاءٍ وكرب، فتجدُه عظيمَ الثِّقة بربِّه -سبحانه-، شديدَ التعلُّق بمولاه، دائمَ الاستغاثة والتضرُّع لسيِّده، مُتحلِّيًا بالصبر والمُصابَرة، لا يشكُو، ولا يُظهرُ الشَّكاية لأحد، ينتظرُ الفرَجَ من الله، ولا ييأسُ من رَوح الله، ولا يشكُّ في أن الله هو فارجُ الهمِّ، وكاشفُ الكرب، ومُجيبُ دعوة المُضطرِّين، (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ) (الأنعام: ٦٤).

وتعظُمُ الثِّقةُ بالله والرَّغبةُ في فرَجه حين يطُولُ أمَدُ البلاء، ويستطيرُ شررُ الفتنة، ويمتدُّ زمنُ الضرَّاء، (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة: ٢١٤).

أيها المُسلمون: إن عبوديَّة الضرَّاء بالصبر والمُصابَرة يُثمرُ للعبد أفانينَ الرِّضا والحُبُور والسَّكينة في صحراء البلاء، ووَهَج الضرَّاء، وتستمطرُ رحمات السماء، وغيثَ اليقين والرَّوح؛ لتُرويَ جفافَ البأساء، وقحطَ المِحَن والبلاء.

إن المُسلمَ إذا صدَقَ مع الله في تحقيق عبوديَّة الضرَّاء، فإن المِحَن تكونُ في حقِّه منَحًا، وتنقلبُ الآلامُ آمالاً، والأحزانُ أفراحًا، ويجعلُ الله له من كلِّ ضيقٍ مخرَجًا، ومن كل همٍّ فرَجًا، وربما صحَّت الأجسادُ بالعِلَل، ورُبَّ ضارَّةٍ نافعة، ورُبَّ بلاءٍ كان سببًا لأن يلِجَ العبدُ ملَكُوتَ السماء.

وكم بدَّدَت شُعلةُ الأمل ظُلمات اليأس! وكم نبَتَت الأزهارُ من خلَل الصُّخُور الصمَّاء! فعلامَ يحملُ العبدُ الهُمومَ، والله بيده كلُّ شيء؟! وعلامَ يحزَن وهو يعلَمُ أن هذه الدنيا دارُ كبَد والْتواء لا دارُ استقرارٍ واستواء، وأن دوامَ الحالِ من المُحال، وأن كلَّ عُسرٍ فهو مُحاطٌ بين يُسرَين.

لقد سطَّر أنبياءُ الله ورُسُله أفخمَ الرَّوائع في إظهار العبوديَّة الحقَّة لله في حالة البلاء والضرَّاء، كما قصَّ الله علينا من نبأ نُوح، وإبراهيم، ومُوسَى، وهود، وصالح، ويُونُس -عليهم السلام-، وكيف قامُوا لله المقامات العالية في مُواجهة البلايا ومِحَن الطريق.

وتنثَني خواصرُ المهمُومين إجلالاً، وتفيضُ دُموعُ المكرُوبين استرواحًا لصبر يعقُوب -عليه السلام- على فقد ولده الحبيب، وتفجُّعه ووَلَهه، وتوكُّله على الله، وقوله: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) (يوسف: ٨٦).

وأعجَبُ منه: صبرُ أيوب -عليه السلام- على المرض والبلاء قُرابةَ ثماني عشرة سنة -كما قال المُفسِّرُون-، حتى ملَّ منه الصَّديقُ والقَريبُ، وفقَدَ مالَه وأهلَه.

وما كان الله ليَذَرهم على ما هم عليه حتى يُنجِّيَهم ويكشفَ كربَهم، وما كان الله ليتخلَّى عنهم وهم قد قامُوا له -سبحانه- بعبوديَّة الضرَّاء، فجاءَهم الفرَجُ، ونجَّاهم الله من الهمِّ والغمِّ والبلاء، (وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء: ٨٨).

أيها المُسلمون: من أعجَب الحوادث التي وقَعَت بالنبيِّ -صلى الله عليه وآله وسلم-، وأشدُّها ألمًا وابتلاءً: حادثةُ الإفك الشَّهيرة التي اتُّهِمَت فيها عائشةُ -رضي الله عنها- حبيبةُ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-، وبقدرِ شدَّة هذه الحادثة وألَمها، إلا أنها كانت تحملُ في طيَّاتها الخيرَ والبشائر، كما قال الله: (لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) (النور: ١١).

ولذلك فقد يُقدِّرُ الله، ويُجري على عباده بعضَ المقادير التي في ظاهرها الشرُّ والضَّرَر، ولكن في ثناياها الخيرُ، وتكونُ عاقبتُها إلى خير. فلا يأسَ مع رحمة الله وحُسن تدبيره، ولا قُنُوطَ مع لُطفِ الله وحكيم تقديره.

نسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه رضاه.



نظرات في كتاب

# إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد

إعداد محمد عبد العزيز

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا. والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإن كتاب إحكام الأحكام، للإمام الحافظ الفقيه الأصولي صاحب الفنون ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى كتاب عظيم، قل أن تجد له نظيرًا، لا يستغني عنه عالم متقن، ولا طالب علم متوسط، ففيه مباحث شريفة، وفوائد منيفة، وتدقيقات قل أن تجتمع في مثله، وهو من أحسن الكتب التي تربي الملكة في استنباط الأحكام الفقهية، ولذا ستكون عليه تلك الإطلالة، وسنتحدث في هذا المقال حديثًا قصيرًا عن كتابين آخرين للكتاب صلة بهما:

الأول: كتاب: عمدة الأحكام، للإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله تعالى. وهو الكتاب الأصل الذي شرحه ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى.

الآخر: كتاب: العدة، للشيخ العلامة عز الدين أبي إبراهيم محمد بن إسماعيل ابن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بالأمير رحمه الله (المتوفى: ١١٨٢هـ).

وهذا الكتاب شرح للشرح (حاشية).

فائدة:

ظهرت المتون العلمية سواء كانت في الحديث، أو الفقه، أو علوم الآلة، كاللغة والأصول، ونحوهما عندما استقرت العلوم، واحتاج الطلاب لمصنف جامع يجمع أطرافها في لفظ مختصر ليتصور العلم في ذهن طلاب العلم من أقرب طريق.

ثم جاءت الحاجة لشرح تلك المتون العلمية وتفسيرها، بما يفتح مغاليقها، ويبين غريبها، ويوجه استدلال العلماء، ويوضح طريق الاستنباط فيها، فكانت الشروح العلمية، وتلك صنعة المتأخرين بداية من علماء القرن الخامس الهجري تقريبًا.

وربما استغلق قول الشارح، أو أطلق ما هو مقيد، أو ذكر عامًا له مخصص، أو ترك مبهمًا لم يبينه، أو ترك ما يستدرك عليه، فظهرت الحاجة لشرح الشروح، وهو ما يعرف اصطلاحًا بالحواشي العلمية، وربما فاقت شهرة هذه الحواشي تلك الشروح.

وربما ترك صاحب الحاشية مسألة لم يتعرض لها، أو ذكر مشكلاً يحتاج لحل، أو أرسل قولاً يحتاج لتوثيق، فظهرت من

هنا الحاجة لشرح تلك الحواشي، فظهر ما يعرف اصطلاحًا بالتقريرات، وهي شروح عظيمة الفائدة لطلاب العلم الذين يدققون في أقوال العلماء.

فتراث الأمة يكاد أن يكون في هذه الأربعة: المتون، والشروح، والحواشي، والتقريرات، إضافة للمختصرات والمطولات.

ولنشرع الآن فيما أردنا بيانه في هذا المقال:

**أولاً: كتاب عمدة الأحكام:**

**اسم الكتاب:** عمدة الأحكام في معالم الحلال والحرام، عن خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، مما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم. وهذا الكتاب كما سبق من تأليف الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله تعالى (المتوفى:٦٠٠هـ).

**وفكرة هذا الكتاب تتلخص في أمرين:**

**الأول:** جمع طائفة مختصرة من الأحاديث التي تدور عليها الأحكام العملية الشرعية.

**الآخر:** أن تكون هذه الطائفة من أصح أحاديث الأحكام، ولذا انتقاها مما اتفق الشيخان البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى كما هو واضح من عنوان الكتاب.

وهذا الكتاب مرتب على الأبواب الفقهية فهو يبدأ بكتاب: الطهارة، وينتهي بكتاب: العتق، ويحوي بين دفتيه ستة عشر كتابًا.

وقد انتقى فيه ثمانية وأربعين، وأربع مئة حديثٍ (٤٤٨)، هي عيون أحاديث الأحكام مما اتفق عليه الشيخان.

وهذا الكتاب من أنفع كتب أحاديث الأحكام، ولذا كان يبدأ العلماء بحفظه، ولا يغني عنه مختصرٌ آخر في أحاديث الأحكام، وفيه ما يزيد عن مئتي حديث متفق عليها ليست في كتاب الحافظ ابن حجر: بلوغ المرام.

والمصنف رحمه الله تعالى قد استل كتابه هذا على ما يبدو من كتابه: الأحكام الكبرى، ولذا تجد فيه بعض الهنات التي لا يخلو بشر منها كأن يكون روى الحديث في كتابه: الأحكام الكبرى من طريق الشيخين وغيرهما، وقد ساق بعض ألفاظه فيه من طريق هذا الغير، ثم يسهو، ويستله في هذا الكتاب ويعزوه للشيخين، فمن أمثلة ذلك حديث محمد ابن عباد بن جعفر قال سألت جابر بن عبد الله: «أنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة؟ قال: نعم» زاد مسلم: «ورب الكعبة».

والزيادة في مسلم (حديث: ١١٤٣) بلفظ: «ورب هذا البيت»، وإنما هذا اللفظ للنسائي في الكبرى (٢٧٦٠)، وقد ساقه هكذا المصنف الشيخ عبد الغني المقدسي في الكبرى (حديث: ٤٤١) فنقله هنا سهوًا.

وربما وهم فروى الحديث في كتابه وشرطه في هذا الكتاب أن يكون متفق عليه فيرويه في كتابه، وهو لأحدهما، فمن أمثلة ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة، يوتر من ذلك بخمس، لا يجلس في شيء إلا في آخرها» وهو من أفراد مسلم (٧٣٧).

(وقد ذكر هذين المثالين محقق الكتاب نظر الفريابي).

والمصنف رحمه الله تعالى يسوق لفظ الحديث في الغالب من كتاب: الجمع بين الصحيحين، للحميدي.

**طبعات الكتاب:**

قد طبع الكتاب عدة مرات منها:

١- طبع في مطبعة السنة المحمدية بتحقيق الشيخ العلامة: محمد حامد

الفقي رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٧١هـ).

٢-طبعة دار المعارف في مصر سنة (١٣٧٣هـ) بتصحيح الشيخ العلامة المحدث أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٧٧هـ).

٣- طبعة دار المأمون للتراث سنة (١٤٠٥ هـ) بتحقيق الشيخ: محمود الأرناؤوط.

٥- طبع في المطبع الأنصاري بدهلي في الهند ضمن مجموعة الحديث النجدية.

٦- طبع في مطبعة المنار بمصر بعناية الشيخ: محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ضمن مجموعة الحديث النجدية أيضاً سنة (١٣٤٢ هـ).

٧- طبع في دار الفاريابي للمطبوعات العربية، على سبع نسخ خطية، دراسة وتحقيق: نظر محمد الفاريابي، وهي من أحسن طبعات الكتاب وأجودها، وفيه من التوثيق ما ليس في غيره، وقد قدم له بدراسة قيمة.

**شروح الكتاب:**

حظي هذا الكتاب بعدد كبير من الشروح قاربت الخمسين شرحًا نظرًا لاهتمام أهل العلم به فمن هذه الشروح:

١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للشيخ تقي الدين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المشهور بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى، وسيأتي الكلام عنه تفصيلاً.

٢-الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، للإمام الحافظ العلامة أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن المتوفى سنة (٨٠٤هـ) وهو أجل كتبه وأحسنها، وقد توسع في الشرح توسعاً واضحاً رحمه الله تعالى.

طبع بتحقيق وتخريج وتعليق الشيخ عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح الطبعة الأولى سنة (١٤١٧ هـ) نشر دار العاصمة في الرياض.

٣- كشف اللثام في شرح عمدة الأحكام، لشمس الدين أبي العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٩هـ)، وهو من أوسع شروح الكتاب، وقد طبع في سبع مجلدات، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخريجًا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت، دار النوادر - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

٤- خلاصة الكلام على عمدة الأحكام، للشيخ فيصل بن عبد العزيز آل مبارك رحمه الله تعالى (المتوفى:١٣٧٦ هـ)، طبع في مجلد واحد أكثر من مرة منها طبعة: شركة الشمرلي للطبع والنشر بالقاهرة سنة: ١٣٧٩هـ، نشرته مكتبة الرياض سنة: ١٣٩٢هـ، وسنة (١٤٠٠هـ).

٥- تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد بن صالح العثيمين طبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدة مرات.

٦- تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، طبع عدة مرات منها الطبعة الثالثة سنة: ١٣٩٣هـ، في مجلدين، وهو من أيسر وأسهل شروحه، فيصلح للطالب المبتدئ، ولا يستغني عنه المنتهي.

٧- نيل المرام شرح عمدة الأحكام، للشيخ حسن بن سليمان النوري، والشيخ علوي ابن عباس المالكي (المتوفى:١٣٩١هـ) رحمه الله تعالى، نشر مكتبة الاقتصاد في مكة المكرمة الطبعة الثالثة سنة: ١٣٨٨هـ.

(انظر: شروح الكتاب، وطبعاتها في جامع المتون العلمية، للشيخ: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم (ص ٢٦٢)).

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال، فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله منه.

باب الفقه

# أحكام الصلاة

## الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد تحدثنا في الحلقة السابقة عن بعض الأفعال التي ورد النهي عنها في الصلاة، ونستكمل البحث في هذا العدد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

### ٤- التَّلثُّم في الصلاة:

أي تغطية الفم بثوب وشبهه. يكره أن يغطي المسلم فمه بثوبه، أي يكره التَّلثُّم في الصلاة لما رُوي عن أبي هريرة أنه قال «نهى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يغطي الرجل فاه في الصلاة» رواه ابن ماجه. ولما رُوي عنه أيضاً «أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- نهى عن السدل في الصلاة، وأن يغطي الرجل فاه» رواه ابن حبَّان وأبو داود وابن خُزيمة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وفي علة النهي قال الخطابي فإن من عادة العرب التلثم بالعمائم على الأفواه فنهوا عن ذلك في الصلاة. (عون المعبود- العظيم آبادي ٢٤٥/٢)، وقال ابن حبان: لأنه من زي المجوس.

وقال ابن عثيمين: لأنه قد يؤدي إلى الغم، وإلى عدم بيان الحروف عند القراءة والذكر. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٩٣/٢)، وقد استدل به على كراهة أن يصلي الرجل ملتثمًا، وهذا بلا خلاف بين أهل العلم ويستثنى منه تغطية الفم عند التثاؤب قال ابن حبان: وإنما زجر عن تغطية الفم في الصلاة على الدوام لا عند التثاؤب بمقدار ما يكظمه لحديث (إذا تثاءب أحدكم فليضع يده على فيه فإن الشيطان يدخل).

ويستثنى منه أيضاً إن كان حوله رائحة كريهة تؤذيه في الصلاة، واحتاج إلى اللثام فهذا جائز؛ لأنه للحاجة، وكذلك لو كان به زكام، وصار معه حساسية إذا لم يتلثم؛ فهذه أيضا حاجة تبيح أن يتلثم. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ١٩٣/٢).

### ٥- الاعتماد على اليدين:

ويُكره في جلوس التشهد أن يعتمد الرجل على يده أو على يديه، بأن يضعهما على الأرض مستعيناً بهما، كما يكره الجلوس على مقعدته وينصب ساقيه ويضع يديه على الأرض، يُقعي كما يُقعي الكلب والقرد وسائر السباع، وهو الإقعاء المنهي عنه، وهو المسمى عُقْبَة الشيطان، أو عَقب الشيطان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال «نهى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يعتمد الرجل على يديه في الصلاة» رواه ابن خُزيمة.

وعلته كما قال العيني لأنه يُشبه جلوس المعذبين لما روى أحمد من طريق ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- رأى رجلاً ساقطاً يده في الصلاة فقال: لا تجلس هكذا، إنما هذه جلسة الذين يعذَّبون». شرح سنن أبي داود.

وقوله في الحديث ساقطاً يده: أي واضعاً يده بجانبه معتمداً عليها. وروى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنه «أنه رأى رجلاً يتكئ على يده اليسرى، وهو قاعد في الصلاة- وقال

هارون بن زيد: ساقطاً على شقه الأيسر- فقال له: لا تجلس هكذا، فإن هكذا يجلس الذين يعذبون». حديث حسن، ينظر صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني.

أما الاعتماد لحاجة فلا يكره، لما تقدم عن أم قيس بنت مُحصن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسنَّ وحملَ اللحم اتخذ عموداً في مُصلاه يَعتمدُ عليه. أخرجه أبو داود؛ فالحديث يدل على جواز الاعتماد على عمود أو عصا أو نحوهما عند الداعية. (الدين الخالص للسبكي ١/٢٠٨).

## ٦- التشبيك بين الأصابع:

تشبيك اليد هو إدخال الأصابع بعضها في بعض والاشتباك بها. وقد يفعله بعض الناس عبثا وبعضهم ليفرقع أصابعه عندما يجده من التمدد فيها، وربما قعد الإنسان فشبك بين أصابعه واحتبى بيديه يريد به الاستراحة وربما استجلب به النوم فيكون ذلك سببا لانتقاض طهره فقيل لمن تطهر وخرج متوجها إلى الصلاة لا تشبك بين أصابعك؛ لأن جميع ما ذكرناه من هذه الوجوه على اختلافها لا يلائم شيء منها الصلاة ولا يشاكل حال المصلي. (معالم السنن لأبي سليمان الخطابي).

وقد أجمع الفقهاء على أن تشبيك الأصابع في الصلاة مكروه وفي انتظارها أي حيث جلس ينتظرها، أو ماشيًا إليها، والأصل في ذلك ما روي عن أبي أمامة الخياط «أن كعب بن عُجْرَة أدركه وهو يريد المسجد قال: فوجدني وأنا مشبِّك يديَّ إحداهما بالأخرى، قال: ففتق يديَّ ونهاني عن ذلك وقال: إن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: إذا توضأ أحدكم فأحْسَنَ وضوءَه، ثم خرج عامداً إلى المسجد فلا يشبِّكنَّ يده فإنه في صلاة» رواه ابن حِبَّان.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال «إذا كان أحدكم في المسجد فلا يُشَبِّكَنَّ، فإن التَّشبيك من الشيطان، وإنَّ أحدكم لا يزال في صلاة ما دام في المسجد حتى يخرج منه» رواه أحمد.

وقد يشكل على حديث كعب بن عُجْرَة وأبي سعيد الخدري الحديث الصحيح في تشبيكه صلى الله عليه وآله وسلم بين أصابعه في المسجد وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين بلفظ: (ثم قام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان وشبك بين أصابعه)، وفيهما من حديث أبي موسى: (المؤمن للمؤمن كالبنيان وشبك بين أصابعه)، وعند البخاري من حديث ابن عمر قال: (شبك النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصابعه).

وهذه الأحاديث أصح من حديث الباب، ويمكن الجمع بين هذه الأحاديث بأن تشبيكه صلى الله عليه وآله وسلم في حديث السهو كان لاشتباه الحال عليه في السهو الذي وقع منه ولذلك وقف كأنه غضبان. وتشبيكه في حديث أبي موسى وقع لقصد التشبيه لتعاضد المؤمنين بعضهم ببعض كما أن البنيان المشبك بعضه ببعض يشد بعضه بعضا.

فأما حديث الباب فهو محمول على التشبيك للعبث وهو منهي عنه في الصلاة ومقدماتها ولواحقها من الجلوس في المسجد والمشي إليه. أو يجمع بما ذكره البعض أن فعله صلى الله عليه وآله وسلم لذلك نادرًا يرفع التحريم ولا يرفع الكراهة، ولكن يبعد أن يفعل صلى الله عليه وآله وسلم ما كان مكروها. والأولى أن يقال: إن النهي عن التشبيك ورد بألفاظ خاصة بالأمة وفعله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعارض قوله الخاص بهم؛ كما تقرر في الأصول. (نيل الأوطار للشوكاني ٢/٣٨١ بتصرف).

وقد اختلف في الحكمة في النهي عن التشبيك في المسجد كما في حديث أبي سعيد وفي غيره كما في حديث كعب بن عجرة؛ فقيل:

إنه من أحوال اليهود في صلاتهم، ونهي عنه؛ لعدم مشابهتم، ففي سنن أبي داود بإسناد صحيح أن ابن عمر سئل عن التشبيك في الصلاة فقال: (تلك صلاة المغضوب عليهم)، فيحتمل أن يكون المراد بهم اليهود لأنهم هم المغضوب عليهم.

ولكن السنة ثابتة عن النبي- صلى الله عليه وسلم- بالنهي عن التشبيك بين الأصابع إذا خرج إلى الصلاة قال: (إذا عمد أحدكم إلى المسجد فلا يشبَكنّ بين أصابعه فإنه في صلاة)، فلما قال: (فلا يشبَكنّ بين أصابعه فإنه في صلاة) دل على أن العلة في النهي عن التشبيك بين الأصابع كونه في صلاة، ومن هنا أخذ العلماء منه الحكمين: أنه لا يشبك أثناء ذهابه إلى الصلاة؛ لأن الحديث نصّ على هذه المسألة، ولا يشبّك أثناء صلاته؛ لأنه نهي عنه قبل الصلاة؛ لأنه في حكم المصلي، ولهذا جمع الحديث النهي عن الأمرين، فلا يشرع له أن يشبك قبل الصلاة، ولا أثناء الصلاة. (دروس عمدة الفقه للشنقيطي ٢٤٠/٢، شرح الزاد للحمد ١٥١/٥ بتصرف).

٧- تسوية ومسح موضع السجود أكثر من مرة:

وذلك أن المسلم إذا صلى في مكان فيه تراب خشنٌ أو حصى أو ما يشبه ذلك وأراد السجود، أبيح له أن يمسح بيده موضع جبهته مرة واحدة فحسب، وكُره له أن يزيد عن واحدة.

والأصل في ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن معيقيب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الرجل يسوي التراب حيث يسجد، قال: «إن كنت فاعلاً فواحدة». ولمسلم رواية أخرى بلفظ: «ذكر النبي صلى الله عليه وسلم المسح في المسجد- يعني الحصى- قال: «إن كنت فاعلاً فواحدة».

قال النووي: ومعنى الحديث لا تمسح وان مسحت فلا تزد على واحدة، وهذا نهي كراهة تنزيه، واتفق العلماء على كراهته إذا لم يكن عذر لهذا الحديث. (المجموع: ٩٩/٤).

وقد روى عن جماعة من السلف أنهم كانوا يمسحون الحصى لموضع سجودهم مرة واحدة، وكرهوا ما زاد عليها، وروى ذلك عن ابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة، وروى مالك عن يحيى بن سعيد، قال: إن أبا ذر كان يقول: مسح الحصى مرةً واحدةً، وتركها خير من حُمر النعم. (شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٩٨/٣).

وأفرط بعض أهل الظاهر فقال: إنه حرام إذا زاد على واحدة لظاهر النهي، ولم يفرق بين ما إذا توالى أو لا، مع أنه لم يقل بوجوب الخشوع، والتقييد بالحصى وبالتراب خرج للغالب لكونه كان الموجود في فرش المساجد إذ ذاك، فلا يدل تعليق الحكم به على نفيه عن غيره مما يعطي عليه من الرمل والقذى وغير ذلك. (انظر: فتح الباري لابن حجر بتصرف ٧٩/٩).

وقد روي في سبب كراهيته: أن الرحمة تواجه المصلي، فإذا أزال ما يواجهه من التراب والحصى، فقد أزال ما فيه الرحمة والبركة. وروي عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى، فإن الرحمة تواجهه». (فتح الباري، لابن رجب ٣٩٠/٦).

والذي يظهر أن علة كراهيته المحافظة على الخشوع، أو لئلا يكثر العمل في الصلاة، لكن حديث أبي ذر المتقدم يدل على أن العلة فيه أن يجعل بينه وبين الرحمة التي تواجهه حائلاً، وروى ابن أبي شيبة عن أبي صالح السمان قال: «إذا سجدت فلا تمسح الحصى، فإن كل حصاة تحب أن يسجد عليها». فهذا تعليل آخر. (فتح الباري لابن حجر ٧٩/٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يفقهنا في ديننا ويتقبل صالح أعمالنا؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه.

# واحة التوحيد

## من نور كتاب الله

### أفضل الربح: التجارة مع الله

قال الله تعالى: « إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ » (فاطر: ٢٩).

### حكم ومواعظ

قال أعرابي: «عظ الناس بفعلك، ولا تعظهم بقولك، واستح من الله بقدْر قُربه منك، وخفْهُ بِقَدْر قُدْرَته عليك»

(شعب الإيمان)

### من أقوال السلف

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أنهم كانوا يتذاكرون الحديث، فقال رجل: دعونا من هذا، جيئونا بكتاب الله. فقال عمران: «إنك أحمق! أتجد في كتاب الله الصلاة مفسَّرة؟ أتجد في كتاب الله الصوم مفسرًا؟ إن هذا القرآن أحكم ذلك، والسنة تفسِّر ذلك». (ذم الكلام للهروي).

### من معاني الأحاديث

(جِبَل) في حديث الدعاء «أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا وَخَيْرِ مَا جُبِلَتْ عَلَيْه» أي: خُلقت وطُبعت عليه. (النهاية لابن الأثير).

### أحاديث باطلة لها آثار سيئة

(كُنْت كنْزًا لا أُعْرفُ، فَأحْببْتُ أنْ أُعْرفَ؛ فخلَقْتُ خلْقًا فعرَّفْتُهم بي، فعَرفُوني). لا أصل له اتفاقًا. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: «ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُعرف له إسناد صحيح، ولا ضعيف». (السلسلة الضعيفة للألباني)

إعداد : علاء خضر

## خُلق حسن فالزمه

عن الحسن قال: «الحياء وَالتَّكَرُّم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله عز وجل بهما» (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا).

## من هدي رسول الله ﷺ

### بيوع لا يجوز التجارة بها

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن».

(صحيح مسلم).

## من دلائل النبوة

### إخبار الرسول ﷺ بالفتوحات قبل وقوعها

عن نافع بن عتبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله. (صحيح مسلم).

## خُلق سيئ فاحذره

قال ابن المبارك: «أول عقوبة الكاذب من كذبه، أنه يُرَدُّ عليه صدقه». (ذم الكذب لابن أبي الدنيا).

يعني: لا يُصدق حتى فيما صدق فيه.

## من فضائل الصحابة بشهادات آل البيت

عن النزال بن سبرة قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي. قالوا: حدثنا عن أبي بكر الصديق. قال: ذاك امرؤ أسماه الله صدِّيقًا على لسان جبريل ولسان محمد، كان خليفة رسول الله على الصلاة رضيه لديننا، ورضيناه لدنيانا. (أصول الاعتقاد)

# أثر السياق في فهم النص

## تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الحلقة (٩٦)

## حجاب المرأة المسلمة (٦)

إعداد/ د/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تكلمنا في الحلقة السابقة عن قوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ» (الأحزاب ٥٣)، وذكرنا من أقوال العلماء فيها، ونواصل البحث بإذن الله تعالى.

**خلاصة ما ذكرنا من أقوال العلماء حول تفسير هذه الآية يتضمن التالي:**

١- الاتفاق على أن هذه الآية نزلت في وجوب الحجاب على أمهات المؤمنين.

٢- الاتفاق على أن هذه الآية توجب على المؤمنين إذا أرادوا سؤال أمهات المؤمنين عن شيء فليكن ذلك من وراء حجاب، والحجاب يشمل الستر من وراء حائط أو ستار أو هودج ونحو ذلك، وكذلك يشمل ستر جميع البدن بما في ذلك الوجه والكفين عندما يكون السؤال ليس من وراء جدار ونحوه.

٣- الاستدلال من الآية على وجوب ستر الوجه والكفين لغير أمهات المؤمنين، هل هو استدلال مباشر، كما في الأمر الصريح والمباشر الموجه لأمهات المؤمنين في الآية - بلا خلاف - أم أنه استدلال غير مباشر (استنباطي)؟

لا شك أن الاستدلال بالآية يكون بالقياس: فإذا كانت الآية تتوجه بالخطاب والحكم لأمهات المؤمنين، فإن دخول غيرهن من النساء أولى؛ لأن العلة في الآية هي طهارة القلوب، ولا شك في حاجة غيرهم من النساء لطهارة القلوب، فإذا كان أصل اللفظ في الآية خاص بأمهات المؤمنين إلا أن عموم علته يستدل بها على عموم الحكم.

٤- هل طهارة القلوب لا تتحقق إلا بستر الوجه، وأن عدم ستره غير محقق لها، وبالتالي يجب على المرأة إذا أرادت أن تطهر قلبها أن تستر وجهها؟ هذا استدلال محتمل، لكنه غير ملزم، فلا تلازم بين ستر الوجه وطهارة القلب، وبالتالي فالاستدلال بهذه العلة غير قطعي في محل النزاع.

٥- أن اسم التفضيل في الآية (أطهر) ليس على وجهه، بل هو مستعمل للزيادة في طهورية القلب مع وجود أصلها في القلوب سواء للنساء أم الرجال، فإن القلوب طاهرة بالتقوى وغض البصر والانتهاء عن ما حرم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

**الآية الخامسة (من آيات الحجاب):**

قول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن

﴿يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٩).

**أقوال قدامى المفسرين في الآية:**

- تفسير الطبري ٣١٠هـ، شيخ المفسرين: عن الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين) لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن، ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول، ولاريبة ، ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهم الله به فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههن ورؤوسهن فلا يبدين منهن إلا عينًا واحدة، ذكر من قال ذلك:

١- حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن): أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عينًا واحدة (تفسير الطبري ٢٠/٢٢٤).

- سند الأثر: علي هو ابن داوود بن يزيد القنطري: صدوق (تقريب التهذيب ص ٤٠١).

- أبو صالح: هو عبد الله بن صالح الجهني، أبو صالح المصري كاتب الليث، صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة (تقريب التهذيب ص ٣٠٨).

٢- معاوية: هو ابن صالح بن جرير الحضرمي قاضي الأندلس، صدوق له أوهام. (تقريب التهذيب ص ٥٣٨).

علي: هو ابن أبي طلحة سالم مولى بني العباس سكن حمص أرسل عن ابن عباس ولم يره، صدوق قد يخطئ (تقريب التهذيب ص ٤٠٢)، وقيل صدوق حسن الحديث لكن روايته عن ابن عباس وكعب بن مالك منقطعة، وقد احتج به مسلم في صحيحه (انظر تحرير التقريب ٤٦/٣)؛ فالحديث في سنده انقطاع بين علي بن أبي طلحة وبين ابن عباس فهو لم يسمع من ابن عباس، قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: إن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس التفسير، ويقول علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسل، إنما يروى عن مجاهد والقاسم بن محمد وراشد بن سعد ومحمد بن زيد (انظر المراسيل لابن أبى حاتم ص ١٤٠).

وضعف هذا الأثر الألباني في جلباب المرأة المسلمة بعلتين:

أ- الانقطاع بين علي بن أبي طلحة وبين ابن عباس.

ب- ضعف عبد الله بن صالح (انظر جلباب المرأة المسلمة ص ٨٨).

٢- حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيدة في قوله: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن)؛ فلبسها عندنا ابن عون قال: ولبسها عندنا محمد قال: ولبسها عندي عبيدة قال ابن عون بردائه فتقنع به، فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبًا من حاجبه أو على الحاجب (انظر تفسير الطبري ٢٠/٣٢٥).

- سند الأثر: يعقوب: هو ابن إبراهيم الدورقي، ثقة، من الحفاظ (تقريب التهذيب ص ٦٠٧).

- ابن علية: هو إسماعيل بن إبراهيم ابن علية: ثقة حافظ (تقريب التهذيب ص١٠٥).

- ابن عون: هو عبد الله بن عون بن أرطبان: ثقة ثبت فاضل (تقريب التهذيب ص ٣١٧).

- محمد: هو ابن سيرين الأنصاري أبو بكر: ثقة ثبت عابد كبير القدر. (تقريب التهذيب ص٤٨٣).

- عبيدة: هو ابن عمرو السلماني: تابعي كبير مخضرم فقيه. (تقريب التهذيب ص ٣٧٩).

فالسند صحيح مسلسل بالثقات. لكنه مقطوع (موقوف على عبيدة السلماني)، يقول العراقي في الألفية:

وسمّ بالمقطوع قول التابعي

وفعله، وقد رأى (للشافعي)

(البيت ١٠٣ من الألفية).

ملحوظة (سنرى خلال البحث هل رفع عبيدة الأثر عن أحد من الصحابة، وخاصة علي وابن مسعود رضي الله عنهما؛ لأنه أخذ منهما أوله متابعة متصلة عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم).

٣- حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال: أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة عن قوله تعالى: «قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن»، قال: فقال ثبوته، فغطى رأسه ووجهه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه. (انظر تفسير الطبري ٣٢٥/٢٠).

سند الأثر: يعقوب: هو الدورقي، سبق في الأثر السابق.

هشيم هو ابن بشير بن القاسم أبو معاوية ابن أبي حازم الواسطي: ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي (انظر تقريب التهذيب ص ٥٧٤)، ذكره الحافظ ابن حجر في (مراتب المدلسين المرتبة الثالثة، قال: من أتباع التابعين مشهور بالتدليس مع ثقته (انظر تعريف أهل التقديس ص ٤٧).

فائدة: (المرتبة الثالثة من المدلسين: هي من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع، ومنهم من رد حديثهم مطلقًا، ومنهم من قبله (انظر السابق ص ١٣).

قلت: وقد صرح هشيم في هذا الأثر بالتحديث.

هشام: هو ابن حسان الأزدي القردوسي، ثقة من أثبت الناس في ابن سيرين. (انظر تقريب التهذيب ص ٥٧٢).

ابن سيرين: سبق في الأثر (٢) والإسناد إلى عبيدة صحيح لكن كما قلنا في الأثر السابق أنه موقوف على عبيدة السلماني، وهو تابعي فيصير من قبيل المقطوع. ثم ذكر الطبري الآثار الواردة بأن الإدناء هو شد الجلباب على الجباه:

حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال: ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ» إلى قوله تعالى: (وكان الله غفورًا رحيمًا)، قال: كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن، وادناء الجلباب هو أن تقنع وتشد على جبينها.

سند الأثر:

محمد بن سعد هو بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، قال الخطيب: كان لينًا في الحديث، وروى الحاكم عن الدارقطني أنه لا بأس به. (انظر ميزان الاعتدال ت ٧٥٨٣، لسان الميزان ت ٦٠٣).

(أبي): هو سعد بن محمد بن الحسن: قال أحمد فيه: جهمي، قال: ولم يكن هذا أيضًا ممن يستاهل أن يكتب عنه ولا كان موضعًا لذاك. (انظر لسان الميزان ت ٦٧).

(عمي) وهو الحسين بن الحسن بن عطية العوفي: ضعفه يحيى بن معين وغيره، وقال ابن حبان: روى أشياء لا يُتابع عليها لا يجوز الاحتجاج بخبره. (انظر لسان الميزان ت ١١٥٦).

(أبي): هو الحسن بن عطية العوفي: ضعيف (تقريب التهذيب ص١٦٢).

(أبيه): هو عطية بن سعد العوفي: أبو الحسن: صدوق يخطئ كثيرًا، وكان شيعيًا مدلسًا (انظر السابق ص٣٩٣).

قلت: الأثر شديد الضعف؛ فهو مسلسل بالعوفيين، وهم ضعفاء.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

# عداوةُ الجوارِحِ للعصاة وشهادتُها عليهم

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين.**

وبعدُ؛ فهذا مقال أوضعتُ إليه ركابَ خاطري، وأنضيتُ فيه ذهني وأسهرتُ من أجله ناظري، وما ذلك إلا لخطورة الخطْب وفداحته، مع الغفلة عنه والاشتغال بما هو دونه من صغائر الأمور ومحقَّراتها، وهي كلماتٌ أرجو أن تُورث الإقدامَ لا الإحجامَ، وتبعث تركَ النقض إلى الإبرام، ذلك أني رأيْت زهد أهل العَصْر في حراسة جوارحهم، وتثاقلهم عن طلب ذلك وتحصيله، وملْك الجَهْل لقيادهم- والمرء عدوٌّ ما يجهل- ورأيت أفضلَ ما يعطي الله لعبْده إدراكًا لأمر آخرته، وسلطانًا يملك به نفسه الغويّة، ولُبًّا يقْمَع به هواه، وعملاً صالحًا يُرْغم به شيطانَه ويُنضيه كما يُنْضي الرجل بعيره، ورأيْتُ أهل دهرنا غلبت الشهوات عليْهم،ووجدتُ الشبابَ النّاشئة مؤثرين للشهوات صادفين عن سُبل الخيرات، كتبتُ في ذلك والنَّقص في النّاس فاشٍ والعجز لهم شامل، إلاّ خصائص كدراري النُّجوم في أطراف الأفق- كما يقول ابنُ دريد في مقدمة جمهرة اللُّغة - أردتُ أن أبثَّ الموعظة في أهلها وأضعها فيمن يعرف قدرَها فأقول:

مع تَرادُف الأيام وتطاوُل الأعْوَام يَنْسى كثيرون أنهم محاسَبُون وعلى أعمالهم مجزيُّون ومدينون حتى إذا خَسَف قمرُ العمُر وكسفتْ شمسُه واقتربتْ المدةُ من انقضائها والمهْلةُ من ذهابها استيقظ بعض النُّوَّام، وبادرُوا الموتَ قبل الفوتَ، واستعدُّوا لبغْتته وحذرُوا من غفلته وغفوته ووصلوا إلى غايةِ الواحد منهم يرضاها ويقول وصلتُ إلى بغيتي وهذه إياها، وهؤلاء خيرٌ من الذين طال نومُهُم ولم ينتبهوا إلا ساعة الموت يطلبُون الرَّجْعة بعد الفوات وأنَّى لهم ذلك؟!

لذا صار التنبيهُ على عداوة الجوارح لأصحابها يوم القيامة أمرًا واجبًا، والقيام على التحذير من شهادتها عليهم فرضٌ لازبٌ، وبئستْ الخطة للرجل أن يرْعى جوارحه بكل مطعَم ومشرَب، ثم إذا التُمس منها الخيرَ أعضلتْه وإذا أراد منها برًا أعوزتْه، ونعم المطية للعبد أن تكون جوارحُه ناصبةً في الطاعة آناء الليل وأطراف النهار فينعقدُ وينتظمُ عقْد لآليه ويبني من البرِّ مبانيَه ويجتنب مغاويه ويُشيدُ من الفضل مراشدَه ويصلُ من الخير مقاصدَه.

إنَّ إهمال المرء جوارحَه حتى تصبحَ عدوًّا له يوم القيامَة لأمرٌ تأباهُ العقولُ وتنفرُ منه طباعُ كل من يؤمنُ بالرُّجعى إلى الله والوقوفَ بين يديْه والمثول.

إنَّ الله عز وجل هو الذي يملك هذه الجوارح ثم يكلُ استعمالَها ويملكها لعبده عَفْوًا صَفْوًا لينظرَ كيف يعملُ قال تعالى: « قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ » (يونس: ٣١- ٣٢).

وقد امتن الله على عباده بهذه الجوارح « وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » (النحل: ٧٨)، وقال الله تعالى: « ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (السجدة: ٧-٩).

قال الله تعالى: « قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ » (الملك: ٢٣).

فإن أخذ بنصيبه من الصَّلاح فهو المصيبُ وإن غفلَ عنه فليس له من نصيب.

وهذه الجوارح كالغراس في الأرض فإذا كانت طيبةً وصارت عامرة تُنبت النباتَ الحسن وتثمرُ الخير وما ينفع وإن كانت خبيثةً كانت خرابًا وبورًا وإن أنبتَتْ أنبتَتْ الحنظل ثم يصبحُ روضُها مصوَّحًا وخيرُها مطوَّحًا.

ولا يظهر ذلك إلا بالعمل فإن كانت الجوارحُ عاملةً فهي كالتجارة النفيسة لا تهونُ إضاعتُها ولا تُبخس بضاعتُها.

وإن كانت غيرَ عاملة بأن أُهملت أو أُغفلتْ أو عُطِّلت كانت كالعيْن العمياء والأذن الصمَّاء واليد الشلاَّء والرجل البَتْراء وحينئذ يتداعَى ما شُيِّد من العمل ومبانيه فقُلْ لي بربك كيف ينتفع بها.

ويوم القيامة يشتدُّ ندمُ هؤلاء المفرِّطين ولا ينفعُهم قال الله تعالى: « وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ » (السجدة ١٢).

وقال جل وعلا: « وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ » (فصلت: ٢١- ٢٤).

وعَنْ أَنَس بْن مَالك، قَالَ: كُنَّا عنْدَ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَضَحكَ، فَقَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ ممَّ أَضْحكُ؟ " قَالَ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " منْ مُخَاطَبَة الْعَبْد رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجرْني منَ الظُّلْم؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجيزُ عَلَى نَفْسي إِلَّا شَاهدًا منِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بنَفْسكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهيدًا، وَبالْكرَام الْكَاتبينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فيه، فَيُقَالُ لأَرْكَانه: انْطقي، قَالَ: فَتَنْطقُ بأَعْمَاله، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَام، قَالَ فيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضلُ" (رواه مسلم: ٢٩٦٩).

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقيَامَة؟ قَالَ: " هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَة الشَّمْس في الظَّهيرَة، لَيْسَتْ في سَحَابَة؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَة الْقَمَر لَيْلَةَ الْبَدْر، لَيْسَ في سَحَابَة؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: " فَوَالَّذي نَفْسي بيَده لَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَة رَبِّكُمْ، إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَة أَحَدهمَا، قَالَ: فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسيتَني، ثُمَّ يَلْقَى الثَّاني فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسيتَني، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالثَ،

فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ" (رواه مسلم: ٢٩٦٨).

فانظر كيف نطقت الجوارح على أصحابها وشهدت بأعمالها وقامت على أهلها الحجة فأي عاقل يركن إلى جوارحه ويعول في المعاصي عليها؛ فحدثْ نفسَك بمؤاخذة جوارحك على ما فيها واعملْ على حل عُقد مغازيها واعملْ على حمايتها باللُّجوء الصادق إلى الله تعالى والاحتماء به فما أمنعَ من احْتمى بحِمَاه وأسعدَ من ازدانَ بحُلاه فمن فعل كان عمله الصالح خيرًا موصولاً يتصل طارفُه وتليدُه ولباسًا من التقوى لا يبْلى جديدُه وذخرًا لا يفنى عتيدُه لأنه يأمنُ من الفزع يوم التَّناد ويسعدُ يوم يأخذُ كتابَه بيمينه أشدَّ الإسعاد لما يَرَى من ثوابه وفوزه بعد البعث والمعَاد يوم يرَى ما أنعمَ الله عليْه من فضله وأجزلَ له من مثوبَته وطوْله «فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ» (الحاقة: ١٩- ٢٤).

**معرفة السلف بعداوة الجوارح:**

كان أسلافنا على بصيرة نافذة ونظر فيه شفوف ولا يُنكر ذلك من له من العقل مُسْكة ولا يردُّه من الفهم حُنْكة ومن طالع أخبارَهم وَجَدَ أنهم كانوا يرغبون في استعمال جوارحهم في كل أبواب الخير بل كانوا مشغوفين به يتهالكون عليه، ويُنضون ركابهم إليه، وكان شعارهم: نفسك وجوارحك إن لم تشغَلْها بالحق شغلتْك بالباطل.

لذا كانوا بالعمل الصالح في حلٍّ وترْحال لا يَملُّون، ومجاهدة للنفوس ونزال فلا يخافون بل كانوا يبادرون الأنفاس ويسابقون الزمن في العمل لإيمانهم بأن أنفاسَ المرء خُطاه إلى أجله وخروجَها إيذانٌ برحيله كما قال الحسنُ: "يا ابنَ آدمَ إنما أنت أيامٌ فإذا ذهبَ يومُك ذهب بعضُك"؛ فحازوا المحتدَ الأصيل، وفازوا بالمجْد الأثيل، وحصلوا على العزة القعْسَاء، وبلغوا الرُّتْبة الشَّمَّاء، وصاروا من جوارحهم في حرْز حريز وكنَف عزيز، وإذا صحَّت النيةُ، واستقامَ المرءُ، ولزم المجاهدةَ، وتمسَّك باليقظة، وعضَّ على دينه بالنواجذ جاءتْه الفتوحُ من كل باب، وأقبلتْ عليه البَركاتُ والخيراتُ من كل مكان، ومعَ ذلك لمَّا مضَوْا لم يجدُوا لمنهجهم أولياءَ وأنْصارًا إلا قليلاً.

مَضَى الجميعُ فلا عينٌ ولا أثرٌ
مُضيَّ عاد وفُقْدان الأُولي إرَم
وخلَّفوا معْشرًا يجْدُون لبْستَهم
أعْمى من البَهم بل أعْمى من النَّعَم

فجَدِّد عهْد السَّلف بما تيسَّر واستعنْ بالله ولا تعجز واحذرْ الوقوعَ في لُوْم النَّفس فإنه دليلٌ فساد الباطن وهو شرٌّ ما يكُون.

إذا المرءُ لم يدنَّس من اللُّوْم عرضُهُ
فكلُ رداء يرتديه جميلُ
وإنْ هُوَ لم يضْرحْ عن اللوْم نفسَهُ
فليسَ إلى حسنِ الثَّناء سبيلُ

وهذه المعرفة بعداوة الجوارح وإن كانتْ عند السلف علَى وجهها وبحقها غير أنها غيرُ مقصورةٍ على زمانهم ولا خصَّهم الله بها دُون غيرهم بل جَعل ذلكَ في كل جيل مقسَّمًا بينهم علَى قدر هِمَمهم وتفاوُت أقْدَارهم ونحن وإن كان فينا من هو البَرق الخُلَّب الخادع- وهو برقٌ لا مطر فيه- وهو الغالب إلا أن فينا من هو كالمطر الصَّادق.

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.





الحلقة السابعة

# من أسباب الغضب
# المزاح الزائد والمشكلات الزوجية

إعداد د. ياسر لمعي عبدالمنعم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالمزاح في حياة الإنسان كالملح في الطَّعام؛ إذا زاد عن حده انقلبَ إلى ضدِّه، فإذا أكثر من المزاح تحوَّلت حياته إلى هزلٍ لا جِدَّ فيه، وتذهب هيبتُه، ويُستخفُّ به.

المزَاح لغةً: المزاح: الدُّعابة، وهو نقيضُ الجِدِّ، من مزَح يمزَح مَزحاً ومِزاحاً ومُزاحاً ومُزاحة، وقد مازحه ممازحة ومزاحاً، والاسم المزاح، والمزاحة أيضاً. (لسان العرب- ابن منظور ٥/٥٩٣).

المزَاح اصطلاحاً: المبَاسطة إلى الغير على جهة التَّلطُّف والمؤانسة، دون أذيَّة. (تاج العروس- الزبيدي ٧/١٥٧).

**ولكنْ هناك صنفان من المزاح:**

**أولاً: المزاح المحرم**

هو المزاح الذي يزيح صاحبه عن الحق، ويخرجه عن حدِّ الشريعة، إمَّا بالكذب أو السُّخرية أو الترويع، أو هَتْك الأعراض، والتطاول على الغير، والهمز واللَّمز... وما شابه ذلك، وهذا النَّوع قال بحرمته العلماء؛ لما فيه من الخَوض في الأعراض، واستجلاب الضَّغائن، وإفساد العلاقة بين الصديقين، وتعكير الصَّفو بين الأخوين.

قال النَّوويُّ: (اعلم أنَّ المزَاح المنهيَّ عنه، هو الذي فيه إفراط ويُداوَم عليه، فإنَّه يُورث الضَّحك، وقسوة القلب، ويُشغل عن ذكر الله، والفكر في مهمَّات الدِّين، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويُورث الأحقاد، ويُسقط المهابة والوَقار، فأمَّا ما سَلم من هذه الأمور، فهو المباح الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله على ندرة؛ لمصلحة تَطْييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنَّةٌ مستحبَّة). (مرقاة المفاتيح- الملا علي القاري ٣/٣٠٦١).

ففي حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى قال حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى نبل معه، فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم. فقال: ما يضحككم؟ فقالوا: لا إلا أنَّا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلماً. (أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)).

قال الطَّحاوي: (ففي هذا الحديث، ذكر ما فعله الرَّجل المذكور فيه، من

أَخْذ كنَانة صاحبه- ليرْتَاع بفقدها- على أساس أنَّ ذلك مباحٌ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: «لا يحلُّ لمسلم أن يروِّع مسلماً»، فكان قوله ذلك له- بعد فعله ما فعله- ممَّا هو من جنس ما كان فعله نُعَيْمان بسويبط، وما كان فعله عبدالله بن حذافة- في حديث علقمة المدلجي- بأصحابه ليضحكوا من ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ليلى لفاعل ما ذُكر فعله إيَّاه فيه: «لا يحلُّ لمسلم أن يروِّع مسلماً». فكان ذلك تحريما منه لمثل ذلك، ونسخا لما كان قد تقدَّمه؛ مما ذكرناه في هذا الباب؛ مما تعلَّق به من تعلَّق ممَّن يذهب إلى إباحة مثله، إن كان مباحاً حينئذ، والله نسأل التوفيق). (شرح مشكل الآثار - الطحاوي ٤/٣٠٩).

«وحاصل الأمر أنَّ اللعب والهزل والمزاح في حقوق الله تعالى غير جائز، فيكون جِدُّ القول وهزْله سواءً، بخلاف جانب العباد، ألا ترى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح مع الصحابة ويباسطهم؟ وأما مع ربِّه تعالى فيَجِدُّ كُلَّ الجدِّ». (إعلام الموقعين- ابن القيم ١٢٥/٣).

من مفاسد المزاح المذموم: أنَّه يورث البغضاء، ويسلب البهاء، ويُسقط الوَقار، ويُنبت الغلَّ، ويقطع الصَّداقات، ويزيح عن الحقِّ، ويُسوِّد الوجهَ، ويُحيي الضَّغينة، ويَزرع الحقدَ، فيفرِّق بين الأخوين، ويتهاجر بسببه المتآلفون، ومن المزاح ما يسبِّب العداوة والتباغض؛ فإنَّ باب الشرِّ إذا فتح لا يُسَدُّ، وسهم الأذى إذا أُرسل لا يَرتد، وقد يُعرِّض العرضَ للهتك، والدِّماء للسفك. (روضة العقلاء- ابن حبان: ٧٨).

يقول أبو الحسن الماوردي رحمه الله: «اعلم أنَّ المزاح إزاحةٌ عن الحقوق، ومخرجٌ إلى القطيعة والعقوق، يَصِم المازح، ويؤذي الممازَح؛ فوصمة المازح: أن يَذهب عنه الهيبة والبهاء، ويُجَرِّئ عليه الغَوْغاء والسُّفهاء، وأما أذيَّة الممازَح؛ فلأنَّه معقوقٌ بقول كريه، وفعل ممض، إن أمسك عنه أحزن قلبَه، وإن قابَل عليه جانبَ أدَبه، فحقٌّ على العاقل أن يتَّقيه، ويُنزِّه نفسه عن وصمة مَساويه». (أدب الدنيا والدين- الماوردي ٢٨٢).

- ويقول الحسين بن عبدالرحمن رحمه الله: «كان يقال: المزاح مَسْلبة للبهاء، مَقْطعة للصداقة». (الصمت- ابن أبي الدنيا ٤٤٧).

الإفراط والمبالغة في المزاح مَضْيَعة للوقت، وشاغلٌ عن ما هو أهمُّ، فالمداومة عليه تدلُّ على عدم تقدير للزَّمن المهْدَر الذي كان ينبغي أن يستغلَّ فيما هو أولى.

وقال الحجَّاج بن يوسف لابن القرِّيَّة: (ما زالت الحكماء تكره المزَاح، وتنهى عنه، فقال: المزَاح من أدنى منزلته إلى أقصاها عشرة أبواب: المزاح أوَّله فرح، وآخره ترح. المزاح نقائض السُّفهاء، كالشِّعر نقائض الشُّعراء. والمزَاح يوغر صدر الصَّديق، ويُنفِّر الرَّفيق. والمزَاح يُبدي السَّرائر؛ لأنَّه يُظهر المعَاير. والمزَاح يُسقط المروءة، ويُبدي الخنا. لم يجرَّ المزْح خيراً، وكثيراً ما جرَّ شرّاً. الغالب بالمزاح واترٌ، والمغلوب به ثائرٌ.

والمزاح يجلب الشَّتمَ صغيرُه، والحربَ كبيرُه، وليس بعد الحرَب إلاَّ عفوٌ بعد قُدْرة. فقال الحجَّاج: حسبك، الموت خيرٌ من عفو معه قُدْرة). (زهر الأدب وثمر الألباب، القيرواني - ٥٢١/٢).

المزاح يؤول في كثير من الأحيان إلى الإيذاء، وتوريث الأحقاد، فينبغي تجنُّبه وكثرته تُذهب المهابة من قلوب النَّاس لهذا المكثر من المزاح، ويُذهِب عنه الوَقار.

## ثانياً المزاح المباح:

المزَاح مباحٌ، وقد يُستَحبُّ إذا كان فيه تَطْييب نفس المخاطَب، ومؤانسته بالضوابط الشرعية، وقد يكون منهيا عنه؛ إذا أفرط فيه صاحبه أو داوم عليه، أو كان فيه تحقيرٌ أو استهزاء أو كذب، أو ترويع لمسلم، أو نحوه ممَّا فيه ضرَر.

الخلاصة: إن المزاح خُلق إنساني وسلوك بشري له ضوابطه وحدوده، وهو خُلق يشتمل على المداعبة والمضاحكة والمفاكهة بقصد الترويح عن النفوس وإدخال السرور والبهجة إليها حتى لا تمل ولا تكل لا ننسَ أن الإكثار من المزاح والمداعبة يُسقط الهيبة، ويُزيل المحبة، والاحترام من قبل الآخرين، إننا دائماً ما نمزح مع أصدقائنا بين حين وآخر، ولكن أحياناً نحن نضايق أصدقاءنا في هذه المزحة، أو يضايقوننا

فنغضب ويغضبون. المزاح له حدود، بل له مواضيع محددة، وأوقات معينة، علينا مراعاة شعور أصدقائنا فيها، فلا نستطيع أن نمزح مع صديق بشأن شيء يتحسس منه.. أو نتطاول بالمزح إلى غير حدود، ثم نخلق الكراهية بين الأصدقاء لسبب تافه مثل هذا.. احذروا المزاح.

**المشكلات الزوجية:**

المشكلات الزوجية من أكبر أسباب الغضب والانفعال وتؤدي غالباً للفراق بالطلاق، أو الهجر، أو يجلسون معاً بنار تشتعل في البيوت. وأردت أن أختم بهذا السبب هذا المطلب لاشتماله على أكثر مواطن الغضب.

يمكن أن نقول: إنَّه تكاد لا تخلو حياة زوجية من مشكلات، وهذا الأمر طبيعي وليس مستغرباً، فعند اختلاف الثقافات والتجارب والأنماط الفكرية في التحليل والاستنتاج، من المسلَّم به في هذه الحالة أن يكون تنوعُ الآراء والمواقف هو الحاكم وسيِّد الموقف. وهذا عامل قوَّة في الحياة الزوجية وليس عاملَ ضعف، كما يظنُّ البعض؛ لأنَّ هذا الخلاف من المفترض أن يتحوَّل إلى أرضية خصبة وصالحة لبدء نقاش بنَّاء وفعَّال بين الزوجين، مع ما سوف يصاحب هذا النقاش من عملية إقناع متبادل، وتلاقٍ في الفكر، ومحاولة لفهم الطرف الآخر أكثر وأكثر؛ ومن ثم نحن أمام فرصة حقيقية لتطوير العلاقة بين الزوجين وتمتينها وتقويتها من خلال الحوار والنقاش المباشر؛ بهدف إيجاد الحلول المناسبة والصحيحة للخلافات والمشكلات التي يمكن أن تطرأ على الحياة الزوجية، ولكن بشرط أن يكون هذا النقاش خاضعاً للمعايير والضوابط الدينية والتربوية. والحكمة تكمن في اختلاف الطبائع، ألا تعلم... أن النساء في الغرب يغبطن النساء المسلمات على ما أنعم الله به عليهن؛ لأنهن مسؤولات من غيرهن ولا يتحملن مسؤولية أنفسهن، بعكس المرأة في الغرب فإنها مسؤولة عن كل شيء في حياتها، ولا تجد سوى الطريق العام ملجأ وملاذاً لها بعد أن تفقد دفء الأسرة وقوامة الرجل، وهذا الدفء يشمل بالطبع: الحب، والاحتواء، وكل المعاني والمشاعر التي تحقق السعادة ورضا النفس لدى جميع أفراد الأسرة.

ليعلم الجميع أن هناك اختلافاً كما قلنا بين الطبائع قال تعالى: «وليس الذكر كالأنثى».. الاختلاف واضح في الفكر والبنية والنشأة... قال تعالى: «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ» (هود: ١١٨).

وبالنظر في أحوال المسلمين وجدت أن المشكلات التي نسمع بها ونلاحظها ونجلس بين أهلها تتلخص في ثلاث مشكلات رئيسة يندرج تحتها الكثير والكثير، منها:

١- طلب الرجل لزوجته وتمنعها.

٢- تدخل الأهل في الحياة الزوجية.

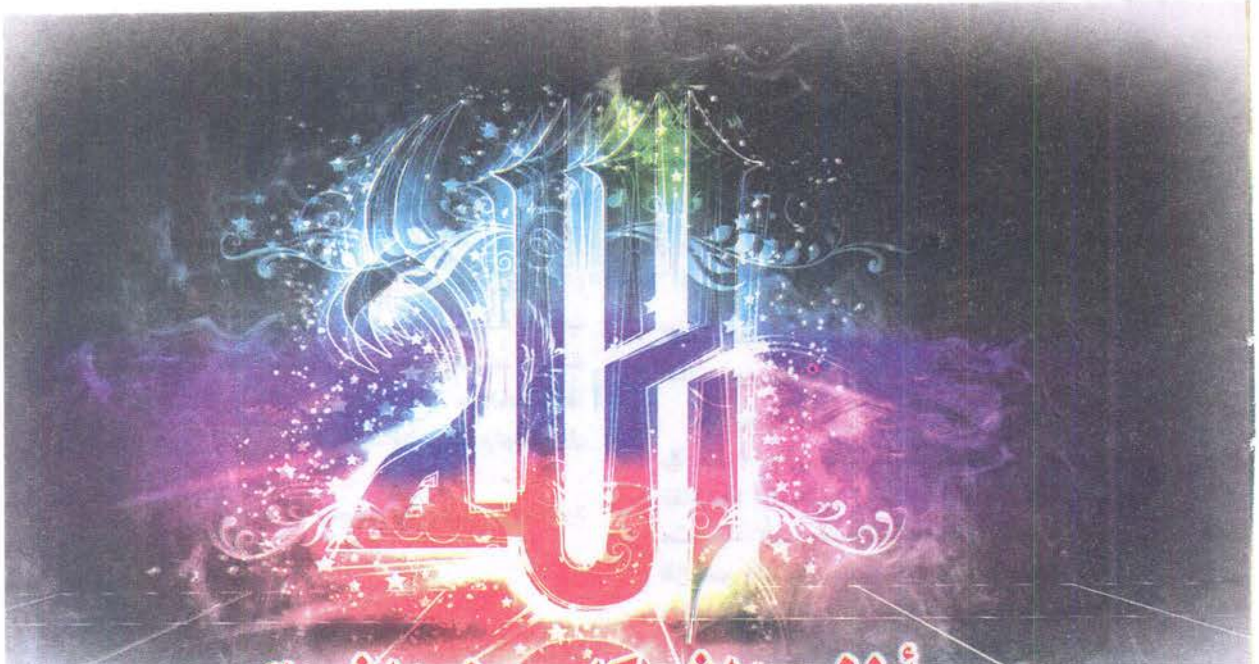
٣- الإنفاق أو الإدارة المالية.

على المسلم أن يُحسن إدارة الخلاف الزوجي، ولنتخيل أنها سفينة واحدة ولها قبطانان أو ربانان هل ستغرق؟ نعم ستغرق في أسرع وقت، فهلا علمت المرأة أن لها دوراً وأن لزوجها مهمة القوامة بتكليف من الله: قال تعالى في محكم آياته: «ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ» (النساء: ٣٤).

ولتعلم الزوجة أن الزوج ملك مُتوَّج لهذه الأسرة الصغيرة إن هو حقق هذه القوامة بأركانها، وشروطها، وآدابها الشرعية.

الخلاصة: لك دور ولزوجك دور، ولكن مع الأسف كل منا يتعدى دوره ويتطلع لدور غيره، أو لأدواته، أو لتهميش الآخر، فكوني له امرأة يكن لك رجلاً صاحب قوامة تعطيه الحق والموافقة في التشاور والجلوس كنبيل يُقبل من الصغير والكبير، يَقبل من زوجته النصح والإرشاد ويَقبل من الآخر التوجيه. وليست قوامة الرجل على المرأة تَعني مجرد القيام بأمرها أو نهيها، وإنما الاهتمام بأمرها كله، والنظر فيما يعنيها ويهمها من أمورها الحياتية والإنفاق عليها ورعايتها والقيام على أمرها في حلها وترحالها، وصيانتها وحمايتها إن قُصدت بسوء، ورد الاعتداء الواقع عليها حتى تكون عزيزة كريمة ولا تكون مبتذلة، وعليها ألا تثير حفيظته للغضب، فيكون الغضبُ سيدَ الموقف، وسيصبح الأولادُ هم الخاسرين.

أحسنوا إدارة الغضب، هذا وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.



# أغنى الشركاء عن الشرك

إعداد: عبده أحمد الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده؛ نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أما بعدُ:

فعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللَّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ". (صحيح مسلم: ٢٩٨٥).

قال النووي رحمه الله: ومعناه: أنا غني عن المشاركة وغيرها، فمن يعمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله بل أتركه لذلك الغير، والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به.

قلتُ: جاء عن أبي سعيد بن أبي فضالة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه، نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدًا فليطلب ثوابه من عنده، فإنَّ الله أغنى الشركاء عن الشرك». (صحيح الجامع: ٤٨٢).

ففي هذا دلالة على رد عمل المرائي عليه، فالإخلاص للأعمال كالروح للأجسام، والأعمال معه ذاتُ كثرة وبركة، وبفقدانها له ذات قلة وإخفاق، ولقد ضرب الله تعالى مثلين لمن ينفق رئاء الناس ولمن ينفق ابتغاء مرضاة الله، قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (البقرة: ٢٦٤، ٢٦٥).

والمعنى في «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى» (البقرة: ٢٦٤) أي: لا تحبطوا أجرها بالمنِّ والأذى.

«كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ» أي: كالمرائي الذي ينفق ابتغاء مرضاة الناس.

«وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ» أي: لا يصدق بلقاء الله ليرجو ثوابًا أو يخشى عقابًا.

«فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ» أي: مثل

ذلك المرائي بإنفاقه، كمثل الحجر الأملس الذي عليه شيء من التراب، يظنه الظانُّ أرضًا طيبةً منبتةً.

«فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا» (البقرة:٢٦٤) أي: فإذا أصابه مطر شديد، أذهب عنه التراب فيبقى صلدًا أملس ليس عليه شيء، كذلك هذا المنافق يظن أن له أعمالاً صالحة فإذا كان يوم القيامة اضمحلت وذهبت، ولهذا قال الله تعالى: «لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟» (البقرة:٢٦٤) أي: لا يجدون له ثوابًا في الآخرة فلا ينتفع بشيء منها.

### ذم الله للمرائين:

قال الله تعالى: «وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ» (الأنفال:٤٧).

قال الله تعالى: «إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء:١٤٢).

وتوعد الله تعالى المرائين بالويل؛ فقال الله تعالى: «فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ» (الماعون:٤-٧).

وقال تعالى: «مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» (هود:١٥، ١٦).

عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ. قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً». (رواه أحمد: ٥/٤٢٨، والألباني في صحيح الجامع: ١٥٥٥، والصحيحة: ٩٥١).

وعن جندب عن عبد الله بن سفيان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللهُ بِهِ». (متفق عليه).

سَمَّعَ: معناه: أظهر عمله للناس رياءً.

سَمَّعَ الله به: أي: فَضَحَهُ يومَ القيامة.

ومعنى: «مَن رَاءَى» أي: مَنْ أظهرَ للناس العملَ الصالح ليعظم عندهم «راءى الله به» أي: أظهر سريرته على رؤوس الخلائق.

فالإخلاص هو أساس نجاح العبد وفلاحه في دنياه وآخرته، فالطاعات قد تكون في ظاهرها وهيئتها سواء، ولكنها في باطنها متفاوتة، فهي خير للمخلصين، وشر للمرائين، فالنَّاس يقفون جميعًا للصلاة في مصلى واحد وخلف إمام واحد، ويركعون ويسجدون سواء، ومنهم المقبول لإخلاصه، ومنهم المردون لريائه، ويقفون في صف الجهاد تحت قيادة واحدة ويقتتلون، ومنهم مَن يُقاد إلى الجنة، ومنهم مَن يُسحب على وجهه ويلقى في النار.

فالأول: جاهد إخلاصًا لله وفي سبيل الله ولإعلاء كلمة الله.

والثاني: جاهد مفاخرة ورياء ومباهاة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

أخي المسلم: عليك أن تعرف السبيل التي فيها نجاتك، فرُب مستكثر من الأعمال لا يجد إلا التعب منها في الدنيا والعذاب في الآخرة، فلتعلم قبل كل شيء ماذا يشترط للأعمال حتى تقبل، لا بد من أمرين مهمين عظيمين أن يتوافرا في كل عمل وإلا فلن يُقبل:

أولهما: أن يكون صاحبه قد قصد به وجه الله عز وجل وحده.

ثانيهما: أن يكون موافقًا لما شرعه الله تعالى في كتابه، أو بينه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في سنته.

فإذا اختل واحد من هذين الشرطين لم يكن العمل صالحًا ولا مقبولاً ويدل على هذا قوله تعالى: «فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» (الكهف: ١١٠).

وإذا كان الخلقُ بهذا الضعف فلا يلتفت لمراءاتهم إلا ضعيف الدين، على أن رياء المرائي لا يخفى حتى على الخلق غالبًا.

فازهد في مدح من لا يزينك مدحه، وفي ذم من لا يشينك ذمه، وارغب في مدح من كل الزين في مدحه وكل الشين في ذمه.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: العمل من أجل الناس شركٌ، وتركُ العملِ من أجل الناس رياءٌ، والإخلاصُ أن يعافيكَ الله منهما.

وقال بعض السلف: من ترك العملَ خوفًا من عدم الإخلاص فقد ترك الإخلاصَ والعمل جميعًا.

وثمة جانبٌ آخرُ، وهو أن المسلم يعملُ العملَ وقد أخلصَ لله فيه، ثم ينشر الله له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين وعلى ألسنتهم فليفرح بفضل الله، وليستبشر بذلك.

فقد سُئل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يعملُ العملَ من الخير يحمده الناس عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «ذلك عاجل بشرى المؤمن». (مسلم: ٤/٢٠٣٤).

فمن أصلحَ سريرته فاحَ عبيرُ فضله، وعبقت القلوبُ بنشر طيبه، فالله الله في إصلاح السرائر فما ينفعُ في فسادها صلاحُ الظاهر.

فاعلم أيها العاقل: أن الخلق لا يكرمون أحدًا إلا بقدر ما جعل الله له في قلوبهم.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث شاء». (صحيح الجامع: ٢١٤١، والصحيحة: ١٦٨٩).

وإن من خذلان الله للعبد أن يعمي بصيرته فيتقرب للمخلوقين بفعل ما يحبونه، وإن أغضب ربه واستحق مقته.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس». (صحيح الجامع: ٦٠١٠، والصحيحة: ٢٣١١).

من قصد رضا المخلوق بإغضاب الخالق حجبَ الله عنه فضله ووكله إلى نفسه.

ومن أصلح ما بينه وبين الخلق وأهمل ما بينه وبين ربه انتكس عليه مقصوده، وعاد حمده ذمًّا، فلا دينًا أقام، ولا دنيا أصاب، نصبٌ بلا فائدة، وعملٌ من غير أجرٍ والله أغنى الشركاء عن الشرك.

فعلى الإنسان أن يعمل على إصلاح نيته، حتى تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله، وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبة رياء، أو سمعة، أو قصد نفع، أو غرض شخصي، قال الله تعالى: «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ» (الزمر:٣).

وقال الله تعالى: «وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» (البينة:٥).

فالأعمال مع الإخلاص تنمو وتزكو ويبارك فيها وتقبل، وبدونه تقل بركتها وتضمحل وتفشل وتُرد على صاحبها.

اللهم يا حي يا قيوم ارزقنا الإخلاص في السر والعلن في الظاهر والباطن، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

# الطلاق والتفكك الأسري

## ثالثًا: المفاهيم الخاطئة وقلة الوعي والخبرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدَّد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية، ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وخاصة مع رقة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: « وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ اللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا » (النساء: ١٣٠).

إعداد/ جمال عبد الرحمن

ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، سواء قبل الدخول أو بعده، والواقع المشاهد أقوى دليل على ذلك. وقد ذكرنا في الحلقة الماضية السبب الثاني من أسباب وقوع الطلاق والتفكك الأسري؛ وهو جهل الأبوين بتعليم العروسين مقاصد الزواج، وفي هذا المقال نذكر السبب الثالث من أسباب وقوع الطلاق وهو: المفاهيم الخاطئة وقلة الوعي والخبرة.

إن من الأمور المعلومة ما يلقيه الشيطان من الخواطر والوساوس والشكوك بين الزوج وزوجته حتى يفرق بين المرء وزوجه كما جاء في صحيح مسلم (٢٨١٣) عن جابر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا فَيَقُولُ مَا صَنَعْتَ شَيْئًا قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَته قَالَ فَيُدْنِيه مِنْهُ وَيَقُولُ نِعْمَ أَنْتَ" قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ فَيَلْتَزِمُهُ ".

فإذا كانت أعظم جائزة شيطانية هي للشيطان الذي فرق بين زوجين، فإن الذي تبرع بهذه الجائزة هما الزوجان أنفسهما؛ أحدهما أو كلاهما.

والشيطان يبدأ في المكر والوسوسة بين الزوجين حتى قبل العقد وبعد الرؤية.

### تقييمات فارغة:

لقد أمر الإسلام بتحقيق الرؤية بين الخاطب ومخطوبته، وأكد في النظر الجاد والحاد لتحري القبول، ولرجاء الألفة والمودة.

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ لَهُ امْرَأَةً أَخْطُبُهَا، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا»، فَأَتَيْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَخَطَبْتُهَا إِلَى أَبَوَيْهَا، وَأَخْبَرْتُهُمَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَأَنَّهُمَا كَرِهَا ذَلِكَ، قَالَ: فَسَمِعَتْ ذَلِكَ الْمَرْأَةُ، وَهِيَ فِي خِدْرِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَكَ أَنْ تَنْظُرَ، فَانْظُرْ، وَإِلَّا فَأَنْشُدُكَ، كَأَنَّهَا أَعْظَمَتْ ذَلِكَ، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا فَتَزَوَّجْتُهَا، فَذَكَرَ مِنْ مُوَافَقَتِهَا. سنن ابن ماجه (٦٠٠/١).

وأحيانًا ما يحدث بعد تمام الرؤية والموافقة أن يغير أحد الزوجين رأيه، ويقع ذلك من المخطوبة بصورة أكثر. بسبب رؤيتها لزوج صديقتها، أو عيب بعض

زميلاتها لزوجها، ووصفه بالقصر، أو عدم الوسامة، أو ليس وجيهًا في شكله وصورته، فتبدأ الزوجة تكره زوجها، وتقول: كنت أريد زوجًا بمستوى جمالي أفتخر به، وأحيانًا يعيبون اسم الرجل، وأن اسمه غير مقبول في نظرها. كل هذا يؤدي إلى وقوع الكراهية والتردد في الاستمرار في الحياة الزوجية، فتفسخ العروس خطبتها لهذه الوساوس والأهواء.

### الطلاق بعد العقد وقبل البناء

وقد تطلب الزوجة الطلاق وذلك قبل البناء والدخول بها.

ومن العجيب أيضًا أنه إذا رأت الفتاة زوجها يستشير أبويه في بعض أموره امتعضت لذلك وأعرضت ونأت بجانبها، واعتبرت أنه غيَّر اتفاقه معها، بل وتتهمه بأنه (ليس له شخصية). والشخصية عندها أن يطيع أوامرها فحسب ولو كره الوالدان.

ومن الأسباب المتفشية التي تسبب الطلاق قبل الدخول: التدخلات الدقيقة في الأمور الخاصة والتافهة، سواء من جهة أهل الزوج أو أهل الزوجة، ومع قلة خبرة الزوج أو الزوجة ينساق كل منهما مع هذه الطريقة فتسبب الجدل والشقاق الذي يؤدي إلى الطلاق والفراق، وفي النهاية صار الزوجان ضحية تعسف الأبوين في التحكم ومحاولة معرفة كل شيء والتعليق على كل شيء.

كذلك يكون أحيانًا للزوجة طموحات مادية غير واقعية خاصة إذا كان الزوج محدود الدخل مع إلزامه بعمل الحفل الختامي (الدخلة) في قاعة تتكلف الآلاف المؤلفة.

قال الله تعالى: «وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ» (النور:٣٢).

وقال الله تعالى: «لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» (الطلاق:٧).

فإذا كان الرب سبحانه لا يكلفنا إلا ما نطيقه، فترك الميزان الرباني والمبدأ السماوي إلى العادات والتقاليد يُعد من كبائر الذنوب التي يحاسب عليها العبد دنيا وآخرة.

ومن المشاكل التي تصاحبه أيام العقد وقبل البناء حالة السيلان العاطفي بين الزوجين مما يؤدي إلى الإسهاب والإسراف في الوعود التي ليس لها حقيقة ولا ظل، وأكثر ما يقع في هذا الصدد يكون من الزوج، فإذا طال الوقت وظهرت بوادر عدم الوفاء، بدأت تتغير سلوكيات الزوجة، ويحتدم النقاش والجدال حتى تتسع الفجوة ويحدث الطلاق.

ومنها أيضًا تطلع الزوجة إلى أن تكون في حياة مستقلة تمامًا، فلا تدخل إلى مسكن أم زوجها ولا تأكل معها ولا تشرب، والمبالغة في هذا الأمر تسبب حرجًا للزوج بينه وبين أمه وكذلك بينه وبين زوجته، ولا بد أن تتضح هذه الأمور قبل العقد ويلتزم كل طرف بما اتُّفِقَ عليه، «والمسلمون على شروطهم»، وإن أولى الشروط بالوفاء ما استحلت به الفروج.

كذلك فإن المبالغة في أمور الجهاز والمهر يُرهق الأسر ويجعلها لا تستطيع إكمال المسيرة فيطلب الزوج كتابة ما نقص في قائمة الزواج ثم يأتي به عند القدرة فيرفض أهل الزوجة الذين لم يقتدوا بسيد البشرية، ولما تزوج سيد البشر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم امرأة من أكرم وأجمل نساء العرب، وهي أم سلمة

رضي الله عنها، قال لها قبل البناء بها: «أما إني لا أنقصك شيئًا مما أعطيته لأختك فلانة» (يعني من المهر وأثاث البيت): رحائين وجرتين ووسادة من أدم حشوها ليف.

ولا نقول للناس الآن: اجعلوها رحائين ووسادة جلدية محشوة ليفًا، ولكن نقول الكلمة الخالدة التي لا تتغير ولا تتبدل عبر العصور والدهور؛ إنها كلمة الله تعالى من فوق سبع سماوات: « لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا » (الطلاق:٧).

وأيضًا ما قاله رسولنا صلى الله عليه وسلم: «أيسرهن مؤونة، أعظمهن بركة».

ومما يكون سببًا للطلاق قبل البناء وبعد العقد؛ جهل العروسين بأحكام العقد والبناء، فالعقد يحل للزوج أخذ زوجته إلى بيته الجديد، لكن ما دامت في حوزة أهلها ولم تنتقل إلى العش الجديد، فيسري عليها أحكام منزل أبيها فقط، فقد يطلب الزوج من والد زوجته أن يخرج بها ويتفسح، أو يخرج ليشتري لها شيئًا، أو يسافر بها داخل بلاده للفسحة أيضًا، ولا يسمح والدها بذلك- ومعه حق-؛ لأن الزوج لكي يأخذ زوجته ويخرج بها ويغيب معها الساعات، ربما اصطحبها إلى مكان خلوة ممكنة، وربما حدث شيء، وهذا وارد ويقع كثيرًا، فصارت الزوجة مدخولاً بها، والعنوان العام لها أنها معقود عليها، فالأب الذي يمتنع عن ذلك معه الحق في أن يحافظ على ابنته حتى تذهب لبيت زوجها، لأنه كثيرًا ما يقع الطلاق قبل البناء والزوجة قد حملت من خلوة بينها وبين زوجها، ولم يعلم بذلك أهلها، ولأن المعروف للجميع أن الزوجة لم يتم الدخول بها، وعليه فكثير من الشباب يعتقد أنه بالعقد قد حلت له زوجته وهي في بيت أبيها أن يفعل ما يشاء، فإذا عُورِض في ذلك اعتبر ذلك تضييقًا لأنها زوجته، وربما طلق لشعوره أن أباها يتحكم فيه وفي زوجته.

ومن الشباب من يتصور- بجهل- أن زوجته وهي عند أبيها لا تخرج بدون إذنه كأن تخرج إلى الطبيبة أو إلى زيارة عمتها أو خالتها، ويطالب الزوج بحقه حينئذ- ولا حق له- حيث إنها مازالت في دائرة سلطان أبيها ونفوذه.

كل ما سبق وغيره مما ينتج عن الجهل وعدم الفقه في أحكام العقد والبناء، والجهل بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهديهم في الزواج؛ يجعل الزوجين قبل العقد عرضةً لرياح الطلاق.

ومن الأزواج من يطلق زوجته وهو في أثناء العقد ولا يعرف أنه بطلاقها حرمت عليه ولا عدة لها، وصارت حلالاً لأي زوج آخر في نفس اللحظة التي طلق فيها، قال الله تعالى: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا » (الأحزاب:٤٩).

والعجيب في هذا كله، أنه مع حالات الطلاق هذه كلها أو تراجُع الزوجة بالخلع فإنهم لا يسلكون المسلك الشرعي في الطلاق، والالتزام بأحكام الشرع من جهة الأخلاق أولاً، كما قال الله تعالى: «أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ» (البقرة:٢٢٩)، ولا من جهة العقوق والأخلاق معًا، ثانيًا كما قال الله تعالى: « وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ » (البقرة:٢٣٧).

وقد ذكر الله تعالى في سورة النساء الصغرى وهي سورة الطلاق قوله: « وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » (الطلاق:٣).

وللحديث بقية إن شاء الله.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٠٩)

# قصة إصابة الصحابي زيد بن ثابت بالأرق

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والمتصوفة، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية وكتب الأذكار والتفاسير المشهورة، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد علي حشيش

## أولاً: المتن:

رُوِيَ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: شكوتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقًا أصابني، فقال: «قُل اللَّهُمَّ غارَتِ النُّجُومُ، وَهَدأتِ العُيُونُ، وأنْتَ حَيٌّ قيُّومٌ، أهْدِئْ ليْلي، وأنِمْ عَيْنِي»، فقلتها فأذهب الله عز وجل عني ما كنت أجدُ. اهـ.

## ثانيا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه:

١- الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني في كتاب «عمل اليوم والليلة» (ح٧٤٩) باب «ما يقول إذا أصابه الأرق» قال: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا عمرو بن الحصين، حدثنا ابن علاثة، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان قال: سمعت عبد الملك بن مروان بن الحكم عن أبيه مروان بن الحكم، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقًا أصابني.. الحديث.

٢- وأخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٤/٥) (ح٤٨١٧) قال: حدثنا حجاج ابن عمران، حدثنا عمرو بن الحصين العقيلي، حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة، حدثنا ثور بن يزيد به.

٣- وأخرجه الإمام ابن بشران في «الأمالي» (٢٣/٢) (ح١٠٠٢) قال: أخبرنا أبو أحمد حمزة ابن محمد بن العباس، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عمرو بن الحصين، حدثنا محمد ابن عبد الله بن علاثة به.

٤- وأخرجه الحافظ أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١١٥٨/٣) (ح٢٩٢٢) قال: حدثنا حبيب بن الحسن، حدثنا محمد بن حبان، حدثنا عمرو بن الحصين، حدثنا ابن علاثة به.

٥- وأخرجه الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣١/٥٧) قال: أخبرنا أبو محمد بن الفضل، وأبو محمد هبة الله بن سهل قالا: أخبرنا أبو عثمان البحيري، أخبرنا أبو عمرو بن حمدان- ح وأخبرتنا أم المجتبى العلوية، قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور، أخبرنا أبو بكر المقرئ- قالا: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا عمرو بن الحصين به.

٦- وأخرجه عبد الوهاب بن محمد بن منده الأصفهاني في «الفوائد» (ص٥٩) (ح١٢) قال: أخبرنا حمزة بن محمد بن العباس، حدثنا محمد بن يونس، حدثنا عمرو بن الحصين به.

٧- وأخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٨٠/٢) قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى- أبو يعلى- قال: حدثنا عمرو بن الحصين الكلابي قال: حدثنا ابن علاثة به وجعله من مناكير ابن علاثة.

٨- وأخرجه الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل»

(١٥٠/٥) (١٣١٤/٣٤٦) قال: حدثنا ابن المثنى، حدثنا عمرو، حدثنا ابن علاثة به، وجعله من مناكير عمرو بن الحصين.

٩- واشتهر هذا الحديث الذي جاءت به قصة «إصابة الصحابي زيد بن ثابت بالأرق» لوجوده في كتب السنة الأصلية كما بيناه من التخريج آنفًا، ومما زاد من اشتهاره؛ أن الإمام النووي أورده في كتابه «الأذكار» (ص٩١)، وبوب له بابًا سماه: «باب ما يقول إذا قلق في فراشه فلم ينم»، فقال: «روينا في كتاب ابن السني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقًا أصابني، فقال: قل اللهم غارت النجوم...» الحديث.

١٠- ومما ساعد على اشتهاره: أن حديث القصة ذكره الإمام الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١٩٧/٦) سورة الروم الآية (٢٣): «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ» وعزاه للطبراني مع ذكر السند فقال: «قال الطبراني: حدثنا حجاج بن عمران السدوسي، حدثنا عمرو ابن الحصين العقيلي، حدثنا محمد بن عبد الله ابن علاثة به». اهـ. وختم به الحافظ ابن كثير شرح الآية وسكت عنه، فتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، فكم زلت بذلك أقدام، وضلت أفهام! خاصة من حاول اختصار تفسير ابن كثير.

**ثالثًا: أوهام عدم تحقيق هذا الحديث:**

١- من منهج الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: أن يذكر الحديث بإسناد مخرجه من المصنفين كأصحاب السنن والمسانيد والمعاجم والتفاسير، وتارة يصرح بمرتبة الحديث وذلك من فوائد «تفسيره»، وتارة يسكت وهو الأكثر.

٢- ولقد اغتر بسكوت الحافظ ابن كثير وعدم التصريح بمرتبة الحديث من جاء ليختصر «تفسير ابن كثير» حيث توهم من سكوته الصحة.

٣- فجاء هذا الحديث في الكتاب المسمى «مختصر تفسير ابن كثير» اختصار وتحقيق محمد علي الصابوني- أستاذ التفسير بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة- هذا ما ذكره الشيخ الصابوني مُعنونًا به اختصاره هذا، واعتبر هذا الحديث الذي جاءت به القصة صحيحًا بإيراده إياه في «مختصره» وتصريحه في «مقدمته» (ص٩): بأنه اقتصر فيه على الأحاديث الصحيحة، وحذف الأحاديث الضعيفة.

٤- ولقد نبه الشيخ الألباني رحمه الله عن الأثر السيئ لهذا الصنيع ممن اختصر تفسير ابن كثير، ففي «الضعيفة» (٣٦١/٣) في تحقيقه لحديث (١٢١٦): «لما ألقى إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك». قال الشيخ الألباني: «هذا الحديث ذكره ابن كثير في «التفسير» بإسناد أبي يعلى ساكتًا عنه، فظن بعض الجهلة أن سكوته يعني أنه صحيح عنده، وليس كذلك، فقد أورده الشيخ نسيب الرفاعي في «مختصر تفسير ابن كثير» (٥٠/٣) وتبعه الصابوني في «مختصره» أيضًا (٥١٤/٢)، وقد زعما كلاهما أنهما التزما في كتابيهما أن لا يذكرا إلا الأحاديث الصحيحة، وكذبا- والله- فإنهما لم يفعلا، ولا يستطيعان ذلك، لأنهما لم يدرسا هذا العلم مطلقًا، بل وليس بإمكانهما أن يرجعا في ذلك إلى كُتب أهل العلم وإلا لاعتمدا عليهما في ما ادعياه من التصحيح، ولذلك ركبا رأسيهما وجاءا ببلايا وطامات لم يُسبقا إليها، والله المستعان». اهـ.

قُلْتُ: ولقد نقلنا قول الشيخ الألباني رحمه الله بتمامه ولا يعقله إلا العالمون بعلوم الحديث، حيث إن ما يفعله هؤلاء باختصار تفسير ابن كثير ليس باختصار، فإن ابن كثير هو الحافظ الإمام قال عنه تلميذه الحافظ ابن حجي: «كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث وأعرفهم بتخريجها ورجالها، وصحيحها وسقيمها وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك».

ذكر ابنُ حجر في «إنباء الغمر» (ص٢١) فأنى لهؤلاء الذين اختصروا تفسيره من الصناعة الحديثية حتى خرجوا التفسير وحذفوا الأسانيد، وظنوا أن الأحاديث التي سكت عنها صحيحة ولم يعلم هؤلاء أن الأحاديث التي سكت عنها ذكر أسانيدها من مصنفيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والقاعدة عند أهل هذا الفن: «أن من أسند فقد أحال» أي أحال إلى معرفة العلل وأحوال الرجال،

وبدقيق هذه الصناعة يستطيع الباحث أن يقف على درجة الأحاديث التي سكت عنها الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولكن هؤلاء في اختصارهم للتفسير، اختصروا من وهمهم الأحاديث فحذفوا منها الأسانيد، وظنوا أنه اختصار ولكنه دمار كما بين ذلك الإمام مسلم في «مقدمة صحيحه» عن ابن المبارك قال: «بيننا وبين القوم القوائم» يعني الإسناد. اهـ.

قال الإمام النووي: ومعنى هذا الكلام أن الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم. اهـ.

قلت: وبهذا الصنيع أفسدوا أحاديث تفسير ابن كثير؛ لأنهم بهذا الحذف فقدوا أصول التحقيق، فجعلوا الأحاديث المنكرة صحيحة كما فعلوا بالحديث الذي جاءت به قصة «إصابة الصحابي زيد بن ثابت بالأرق».

### رابعًا: التحقيق:

القصة واهية والحديث الذي جاءت به القصة شديد الضعف، وذلك للأسباب الآتية:

١- من تخريج الحديث الذي جاءت به هذه القصة والذي بيناه آنفًا ذاكرين فيه الأسانيد من المصنفين الذين أخرجوا حديث القصة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تبين أن السند غريب، انفرد به عمرو بن الحصين عن محمد بن عبد الله بن علاثة عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان عن عبد الملك بن مروان بن الحكم عن أبيه مروان بن الحكم عن زيد بن ثابت مرفوعًا.

٢- ولقد بيَّن الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٥٠/٣) (٣١٤/٣٤٦) أن هذا الحديث من الغرائب المنكرة التي انفرد بها عمرو بن الحصين؛ حيث خرجه من بين منكرات عمرو بن الحصين، ثم قال: «وهذه الأحاديث لا يرويها بأسانيدها غير عمرو بن الحصين وهو مظلم الحديث».

٣- وبهذا يتبين أن علة هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة هو عمرو بن الحصين، قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٢٧٢/٢٢٩/٦): «عمرو بن الحصين البصري العقيلي روى عن ابن علاثة وآخرين سمع منه أبي، وقال: تركت الرواية عنه، ولم يحدثنا بحديثه، وقال: هو ذاهب الحديث ليس بشيء، أخرج أول أحاديث مشبهة حسانًا، ثم أخرج بعد لابن علاثة أحاديث موضوعة، فأفسد علينا ما كتبنا عنه فتركنا حديثه.

ثم قال الإمام ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عنه عندما امتنع من التحديث عنه، وقال: ليس هو في موضع يحدث عنه هو واهي الحديث». اهـ.

قلتُ: وما ذكره الإمام الحافظ ابن أبي حاتم عن أبيه في عمرو بن الحصين من دقيق فقه الجرح والتعديل للإمام أبي حاتم حيث عاصر عمرو ابن الحصين وسمع منه ثم ترك الرواية عنه ولم يحدث ابنه ولا غيره بحديث عمرو ابن الحصين، وبيَّن السبب كما ذكرناه آنفًا، وتتبين هذه المعاصرة من قول الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٥٩٢/٥٦٧/٢) فقال: «أبو حاتم الرازي الإمام الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الأعلام ولد سنة خمس وتسعين ومائة، وقال: كتبت الحديث سنة تسع ومائتين. وفي ختام ترجمته قال الإمام الذهبي: توفي أبو حاتم في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين، وله اثنتان وثمانون سنة». اهـ.

بينما توفي عمرو بن الحصين بعد الثلاثين والمائتين. كذا ذكره الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٦٨/٢) وقال: «متروك».

٤- قلت: وفيما ذكرناه ردٌّ على من يقول: «إذا كان الحافظ ابن حجر ولد سنة (٧٧٣) وتوفي (٨٥٢هـ)، فمن أين له أن يقول في عمرو بن الحصين: متروك».

وفي إجابة الإمام الحافظ أبي حاتم الكفاية لمعاصرته لعمرو بن الحصين وسماعه منه وكشفه عن كذبه المختلق المصنوع، وأنه ذاهب الحديث ليس بشيء وإخراجه لابن علاثة الأحاديث الموضوعة حتى قال: «فأفسد علينا ما كتبنا عنه فتركنا حديثه». اهـ.

٥- وأورد هذا الحديث الحافظ الهيثمي المتوفى (٨٠٧هـ) في «مجمع الزوائد» (١٢٨/١٠) وقال: «رواه الطبراني وفيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو

متروك». اهـ.

قلت: ومما أوردناه آنفًا يتبين من أين أخذ الحافظ الهيثمي قوله في عمرو بن الحصين وبينهما قرون.

٦- وقال الإمام الدارقطني في «الضعفاء والمجروحين» (٣٩٠): «عمرو بن الحصين العقيلي، متروك». اهـ.

٧- وأورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٢٠/٨): وأقر كلام الأئمة الذي أوردناه آنفًا ثم نقل قول الأزدي فيه: «إنه ضعيف جدًا يتكلمون فيه».

٨- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٣٥١/٢٥٢/٣) وقال: «عمرو بن الحصين العقيلي، عن محمد بن عبد الله بن علاثة وغيره، وأقر أيضًا أقوال الأئمة في الجرح والتعديل ثم ذكر حديث القصة من منكرات وواهيات عمرو بن الحصين.

الاستنتاج: نستنتج من هذا التحقيق أن عمرو ابن الحصين ترك الأئمة حديثه فهو متروك الحديث، ذاهب الحديث، ليس بشيء، واهي الحديث أخرج لابن علاثة أحاديث موضوعة، وحديث القصة من رواية عمران بن حصين عن ابن علاثة فهو موضوع.

٩- وعلة أخرى تزيد الحديث وهنًا على وهن: وهو ابن عُلاثة قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٧٩/٢): «محمد بن علاثة القاضي: من أهل الشام كنيته أبو اليسير، كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، ويأتي بالمعضلات عن الأثبات لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة القدح فيه ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب». اهـ.

١٠- قلت: «وما ذكره الإمام ابن حبان هو حال من يروي الموضوعات ولذلك قال كان ممن يروي الموضوعات. فالحديث الموضوع كما بينه الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) قال: «الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، ومحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

١١- ثم بعد أن بيَّن حال ابن علاثة وروايته الموضوعات أخرج له حديث القصة وقال: أخبرناه أحمد بن علي بن المثنى قال: حدثنا عمرو بن الحصين قال: حدثنا ابن علاثة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان به.

قلت: وثور بن يزيد قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٢١/١): «ثور بن يزيد أبو خالد الحمصي ثقة ثبت». اهـ.

وشيخه خالد بن معدان الحمصي قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢١٨/١): «خالد بن معدان الحمصي أبو عبد الله ثقة عابد». اهـ.

قلت: وبما أن محمد بن علاثة روى حديثه القصة عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان فقد ثبت ما قاله ابن حبان: «أن ابن علاثة كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات ويأتي بالمعضلات عن الأثبات». اهـ.

وبهذا تكون القصة واهية بعلتين:

١- عمرو بن الحصين وهو ذاهب الحديث، متروك الحديث، ليس بشيء، واهي الحديث، أخرج لابن علاثة أحاديث موضوعة.

٢- محمد بن عبد الله بن علاثة: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات ويأتي بالمعضلات عن الأثبات لا يحل ذكره في الكتب إلا على جهة القدح فيه ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب. وقال الدارقطني: متروك. وقال الأزدي: حديثه يدل على كذبه. كذا في «الميزان» (٧٧٤٦/٥٩٤/٣).

قلتُ: وبهذا التحقيق تصبح القصة واهية ويبرأ الصحابي الجليل زيد بن ثابت مما نُسب إليه من إصابته بالأرق وعدم النوم، وكيف يُصاب بالأرق من قلبه مطمئن بذكر الله، بل هو كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا الوحي الذي قال فيه الله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر:٩).

وهو الذي أمره أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما في صحيح البخاري ح٤٩٨٦ فقال: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فكان القرآن الذي جمعه ربيع قلبه ونور صدره وجلاء حزنه وذهاب همه.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٤٠)

# قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

**طرفاً من حوارات ومناقشات وردود أئمة السلف إبان وعقيب ظهور الجهم والمريسي وأتباعهما ممن تأولوا الاستواء بالاستيلاء.. وهي - من ثم - ردود على من قال من الأشاعرة بقولهم وارتضى مذهبهم وجنح لطريقتهم**


إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر


الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن الواضح أن قضية الصفات بعامة، وفوقيته تعالى وعلوه واستوائه على عرشه بخاصة، كانت ولا زالت مثار لغط وجدل كبيرين، ولئن جاء قول جُل أئمة السلف الأول في رد تأويلها على نحو ما رأينا في صورة أجوبة يُكتفى بها بمجرد صدورها عنهم، فقد غلب على من تلاهم أن تأتي ردودهم في صورة نقاشات ومواجهات، الأمر الذي يؤكد أن هذه القضايا قد حسم الأمر فيها عن طريق هذه الأجوبة والمناظرات، ويبرهن على أنه من العبث بعد مرور هذه الأزمنة أن يُرجع فيها للباطل مرة أخرى بعد أن أقيمت الحجة وبان فيها وجه الحق وظهر أمر الله.. ونذكر هنا من تلك الحوارات من غير ما وقع من الإمام أحمد بن حنبل:

أ- أبو سعيد الدارمي يفند مزاعم متأولة الاستواء بالاستيلاء في عصره، ويقرع بأدلة العقل والنقل الحجة بالحجة:

١- ما كان من أمر عثمان بن سعيد الدارمي ت٢٨٠، فقد كانت له إبان رده على الجهمية وعلى المريسي المعتزلي صولات وجولات - أخذت من كتاب (عقائد السلف) للدكتور (علي سامي النشار) حيزا كبيرا استغرق ما يقارب المائتين وخمسين صفحة - نذكر مما عرض له بشأن علوه تعالى واستوائه على عرشه، قوله ص٢٠١ -في رد عادية الجهمية وتحت عنوان: (باب استواء الرب على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق)، وبعد ذكره الآيات في ذلك-:

"أقرت هذه العصابة بهذه الآيات وادَّعوا الإيمان بها، ثم نقضوا دعواهم بدعوى غيرها، فقالوا: (الله في كل مكان لا يخلو منه مكان)، قلنا: (قد نقضتم دعواكم بالإيمان باستواء الرب على عرشه إذا ادَّعيتم أنه في كل مكان)، فقالوا: (تفسيره عندنا أنه استولى عليه)، قلنا: (فهل من مكان لم يستول عليه حتى خصَّ العرش من بين الأمكنة بالاستواء عليه وكرر ذكره في مواضع كثيرة من كتابه، فأي معنى إذاً لخصوص العرش إذ كان مستوياً على جميع الأشياء كاستوائه على العرش؟، هذا محال من الحجج وباطل من الكلام لا تشكُّون أنتم في بطلانه واستحالته، غير أنكم تغالطون به الناس، أرأيتم إذ قلتم هو في كل مكان وفي كل خلق؛ أكان الله إلها واحداً قبل أن يخلق الخلق والأمكنة؟)، قالوا: (نعم)، قلنا: (فحين خلق الخلق والأمكنة أقدر أن يبقى كما كان في أزليته في غير مكان فلا يصير في شيء من الخلق والأمكنة التي خلقها، أو لم يجد بداً من أن يصير فيها، أو لم يستغن عن ذلك؟)، قالوا: (بلى)، قلنا: (فما الذي دعا الملك إذ هو على عرشه بائن من خلقه أن يصير في الأمكنة القذرة وأجواف الناس والطير والبهائم؛

ويصير بزعمكم في كل زاوية وحُجرة ومكان منه شيء، لقد شوهتم معبودهم إذ كانت هذه صفته، والله أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته، فلا بد من أن تأتوا ببرهان بيّن على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضية أو إجماع من المسلمين، ولن تأتوا بشيء منه أبدا)".

يقول الدارمي -بعد أن احتجوا بآية (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) المجادلة/٧)-: "هذه الآية لنا عليكم لا لكم، إنما يعني: أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط، وبصره فيهم نافذ، ولا يحجبه شيء عن علمه وبصره.. أقرب إلى أحدهم - من فوق عرشه - من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك، لأنه لا يبعد عنه شيء ولا تخفى عليه خافية في السماوات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم، وكذلك فسرته العلماء.

فقال بعضهم: دعونا من تفسير العلماء إنما احتججنا بكتاب الله، فأتوا بكتاب الله؛ قلنا: نعم، هذا الذي احتججتم به هو حق كما قال الله، وبه نقول على المعنى الذي ذكرنا، غير أنكم جهلتم معناها فضللتم عن سواء السبيل وتعلقتم بوسط الآية، وأغفلتم ما تحتها وخاتمتها؛ لأن الله افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به.. وفي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم، لا أنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم، فهذه حجة بالغة لو عقلتم، وأخرى: أنا لو سمعنا قول الله: (استوى على العرش)، و(استوى إلى السماء).. وما أشبهها من القرآن، آمنا به وعلمنا يقيناً أن الله فوق عرشه فوق سماواته كما وصف، بائن من خلقه.

ثم إن الروايات لتحقيق ما قلنا متظاهرة عن رسول الله وأصحابه والتابعين.. ثم إجماعا من الأولين والآخرين، والعالمين منهم والجاهلين: أن كل واحد مما مضى وممن غبر إذا استغاث بالله أو دعاه أو سأله يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها، ولم يكونوا يدعونه من أسفل منهم، من تحت الأرض ولا من أمامهم ولا من خلفهم ولا عن أيمانهم ولا عن شمائلهم، إلا من فوق السماء لمعرفتهم بالله أنه فوقهم حتى اجتمعت الكلمة من المصلين في سجودهم: (سبحان ربي الأعلى).. حتى لقد علم فرعون أن الله فوق السماء، فقال: (يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا) غافر/٣٦، ٣٧)، ففي هذه الآية بيان بيّن ودلالة ظاهرة أن موسى كان يدعو فرعون إلى معرفة الله بأنه فوق السماء، فمن أجل ذلك أمر ببناء الصرح ورام الاطلاع إليه".

ثم ساق رحمه الله في ذلك حديث الجارية - وفيه سؤاله صلى الله عليه وسلم لها (أين الله؟)، وقولها: (في السماء)، وشهادته بأنها مؤمنة - وقال: "في الحديث دليل على أن الرَّجل إذا لم يعلم أن الله في السماء دون الأرض فليس بمؤمن.. ألا ترى أن رسول الله جعل أمارة إيمانها معرفتها أن الله في السماء؟، وأن في قوله عليه السلام: (أين الله)، تكذيب لقول من يقول: (هو في كل مكان فلا يوصف بأين)؟، وأنه لا يقال: (أيـن) إلا من هو في مكان يخلو منه مكان؟، وأن لو كان الأمر على ما يدّعى هؤلاء الزائغة لأنكر عليها رسول الله وعلّمها، ولكنها علمت به فصدّقها وشهد لها بالإيمان؟، وأن لو كان في الأرض بذاته كما هو في السماء لم يتم حتى تعرفه في الأرض كما عرفته في السماء؟. فالله فوق عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، فمن لم يعرف بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد ولم يثبت لإلهه ما أثبته الإله لنفسه".

كما ساق حديث أنس -الذي فيه قوله: أصابنا ونحن مع رسول الله مطر، فخرج رسول الله فحسر عنه ثوبه حتى أصابه، وقال لما سُئل عن ذلك: (إنه حديث عهد بربه)- وعلق يقول: "ولو كان ما يقول هؤلاء الزائغة: (إنه في كل مكان)، ما كان المطر أحدث عهداً بالله من غيره من المياه والخلائق".. ثم ساق الآيات في نزول الوحي من نحو قوله: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) القدر/١)، وعلق يقول: "ولو كان على ما يدّعي هؤلاء أنه

تحت الأرض وفوقها، لقال: (إنا أطلعناه إليك) و(رفعناه إليك) وما أشبه.. ويلكم! إجماع من الصحابة والتابعين وجميع الأمة من تفسير القرآن والفرائض والحدود والأحكام، نزلت آية كذا في كذا، ونزلت سورة كذا في مكان كذا، لا نسمع أحداً يقول: طلعت من تحت الأرض ولا جاءت من أمام ولا من خلف، وما يَصنع بالتنزيل مَن هو بنفسه في كل مكان؟".

إلى أن قال بعد أفاض في ذكر الأحاديث والآثار: "فهذه الأشياء التي اقتصصنا في هذا الباب، قد خلُص علم كثير منها على النساء والصبيان -يعني لموافقتها للفطر السليمة التي فطر الله الناس عليها- ونطق بكثير منها كتاب الله وصدقته الآثار عن الرسول وأصحابه والتابعين، وليس هذا من العلم الذي يشكل على أحد من العامة والخاصة إلا على هذه العصابة الملحدة في آيات الله. ولم يزل العلماء يروون هذه الآثار ويتناسخونها ويصدقون بها على ما جاءت. حتى ظهرت هذه العصابة فكذبوا بها أجمع، وجهلوهم وخالفوا أمرهم، خالف الله بهم".

وأردف يقول: "ثم ما قد رُوي في قبض الأرواح وصعود الملائكة بها إلى الله تعالى من السماء، وما ذكر رسول الله من قصته حين أسري به فعرج به إلى سماء بعد سماء حتى انتهى به إلى سدرة المنتهى التي ينتهي إليها علم الخلائق فوق سبع سماوات، ولو كان في كل مكان كما يزعم هؤلاء ما كان للإسراء والبراق والمعراج إذا من معنى!. وإلى من يعرج به إلى السماء وهو - بزعمكم الكاذب - معه في بيته في الأرض، ليس بينه وبينه ستر؟!". إلى أن قال: "فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات، وصدق الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات، لزمه الإقرار بأن الله فوق عرشه، فوق سماواته، وإلا فليحتمل قرآنا غير هذا فإنه غير مؤمن بهذا".

ب- ويرد عادية المريسي وأتباعه من أهل الاعتزال وكذا من حجل بقيدهم من الأشاعرة: وكان مما فاه به في الرد على المريسي، قوله ص٢٩٦ من نفس المصدر بعد أن أفاض وأجاد: "قد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء.. حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث قد عرفوه بذلك، إذا حزب الصبي شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها، فكل أحد أعلم بالله وبمكانه من الجهمية".. وقوله ص٣٣٩: "لا يقال لله: إنه على العرش كمخلوق على مخلوق، ولكن ملك كريم خالق غير مخلوق، على عرش عظيم مخلوق -مع بينونته من خلقه وبلا مماسة ولا تكييف- فمن لم يؤمن به أنه كذلك فقد كفر بما أنزل الله وجحد آيات الله ورد أخبار رسول الله، وقولك: (ككذا على كذا) و(كمخلوق على مخلوق): تشبيه وكافة لم نُكلف ذلك في ديننا، ولكن نقول كما قال الله: (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ) طه/٥). وكما قال الرسول: (إنه فوق عرشه الأعلى فوق سماواته العلى) وتلك العروة الوثقى. من انتهى إليها اكتفى. ومن عدل عن ذلك اعتدى..

وأما قولك: (إنه غير محوي ولا محاط به)، فكذلك هو عندنا وفي مذهبنا.. وفي قياس مذهبك: هو محوي، محاط به، ملازق مماس، قد اعترفت بذلك من حيث لا تشعر، لأنكم تزعمون أنه في كل مكان في السماوات والأرض، وانه في كل بيت مغلق وكل صندوق مقفل، فهو على دعواكم محاط به مماس" إ.هـ بتصرف.

جـ- وابن خزيمة وابن مهدي تلميذ الأشعري، يفعلان الشيء ذاته فيدحضان حجج المتأولة ولا يبقيان لمحتج حجة:

وفي كتابه (التوحيد) ص١٢٩ يقول ابن خزيمة ت٣١١ تحت عنوان: "باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه، فكان فوقه وفوق كل شيء، عاليا كما أخبرنا"، ما نصه: "نحن نؤمن بخبر الله أن خالقنا مستوٍ على عرشه، لا نبدل كلام الله ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا كما قالت المعطلة الجهمية: إنه (استولى).. فبدلوا قولا غير الذي قيل لهم كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا (حطة) فقالوا: (حنطة). مخالفين لأمر الله، كذلك الجهمية". وهذا سر قولهم: (لام الجهمية كنون اليهودية).. وطفق رحمه الله يذكر الأحاديث

في ذلك، ويعلق على حديث: (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس..)، بقوله: "فالخبر يصرح أن عرش ربنا فوق جنته وقد أعلمنا أنه مستو على عرشه، فخالقنا عال فوق عرشه الذي هو فوق جنته".

كما علق ص٣٩٨ على حديث: (يجتمع فيكم ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر وصلاة العصر..)، بقوله: "وفي الخبر ما بان وثبت وصح أن الله في السماء وأن الملائكة تصعد إليه من الدنيا، لا ما زعمت الجهمية المعطلة، ولو كان كما زعمت لتقدمت الملائكة إلى الله في الأرض أو نزلت إلى أسفل الأرضين إلى خالقهم، على الجهمية لعائن الله المتتابعة"إ.هـ

وللإمام علي بن مهدي الطبري، قوله -وقد نقله عنه الذهبي ص١٦٩-: "وزعم البلخي أن استواء الله على العرش هو: (الاستيلاء عليه)، وقال: إن العرش يكون (الملك)، فيقال له: إن مما يدل على أن الاستواء هاهنا ليس بالاستيلاء، أنه لو كان كذلك لم يكن ينبغي أن يخص العرش بالاستيلاء عليه دون سائر خلقه، إذ هو مستول على العرش وعلى الخلق، فبان بذلك فساد قوله، ثم يقال له: إن الاستواء ليس هو الاستيلاء الذي هو في قول العرب: (استوى فلان على كذا أي: استولى، إذا تمكن منه بعد أن لم يكن متمكنا)"، ثم ذكر قول ابن الأعرابي: "العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له مضاد، فأيهما غلب قيل: استولى، والله لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر".

قال ابن مهدي: "فإن قيل: ما تقولون في قوله: (وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ) الأنعام/٣)؟، قيل له: إن بعض القراء يجعل الوقف في (السماوات) ثم يبتدئ: (وفي الأرض يعلم)، وكيفما كان؛ فلو أن قائلاً قال: (فلان ملكٌ بالشام والعراق)، لدل على أن مُلكه بالشام والعراق، لا أن ذاته فيهما".

د- وكذا فعل الخطابي وابن بطة:

ومن غير ما ذكرنا للخطابي إبان الحديث عن قرائن اللغة.. لا يفوتنا أن نشيد بجهود الإمام الزاهد أبي عبد الله بن بطة شيخ الحنابلة ت ٣٨٧، حيث عقد في (الإبانة الكبرى) بابا عنوانه: (الإيمان بأن الله على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بخلقه)، وفيه مما نقله عنه الذهبي في العلو ص١٧٠: "أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه، فأما قوله: (وَهُوَ مَعَكُمْ) الحديد/٤)، فهو كما قال العلماء: علمه، وأما قوله: (وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ) الأنعام/٣)، فمعناه: أنه هو الله - المعبود - في السموات، وهو الله - المعبود - في الأرض، وتصديقه في كتاب الله: (وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ) الزخرف/٨٤)".

ونصه كما في طبعة دار الفاروق المصرية ١٠/٤ "أهل السنة يُجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة، وبأن.. الله على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بالأشياء".. كما صرح في كتابه (الشرح والإبانة) المعروف بالإبانة الصغرى ص٢٠٧: بأنه "على عرشه، بائن من خلقه".

وكذا كان الحال إبان القرون المتتالية، حيث لم يكفَّ أئمة أهل السنة عن خوض معركة المتأولين المخالفين للنصوص، ولما أجمعت عليه الأمة، ولا عن دحض كلامهم ورد شبهاتهم.. وعليه فلئن جرأ أشاعرة الزمان على أن يكرروا كلام أسلافهم من الجهمية والحرورية، فإن الرد عليهم يكون بنفس ما فاه به أئمة أهل السنة والجماعة، فهو خير ما يُرَدُّ به عليهم..

ويبقى مع كل هذا السؤال: ألا يكون لنا ولأزهرنا الشريف في كلام هؤلاء الأئمة ومن سبقهم ولحقهم، وبخاصة إمام المذهب أبي الحسن الأشعري العظة والعبرة، فنبدأ من حيث انتهوا فيكون لنا فضل الرجوع إلى الحق؟، سؤال لا يزال يفرض نفسه ولا يزال في حاجة ماسة إلى جواب..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



# التربية على الرفق بالمخطئ

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًا بَالَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أَوْ قَالَ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ».

الرِّفْقُ في اللغة ضد العنف، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(رواه مسلم).

والرِّفْقُ اصطلاحا: هو لِينُ الجانبِ بالقول والفعل، والأخذُ بالأسهل. (فتح الباري: ١٠/٤٤٩).

ولقد امتن الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بما حباه من الرَّأفة والرحمة، والرِّفق واللين، فقال تعالى: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران: ١٥٩).

ولقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الإنساني في الرِّفق بالعامَّة:

عَنْ أنس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنِّي لأَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ فَأُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ بُكَائِهِ» (البخاري: ٧٠٧).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَيَدَعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ»(متفق عليه).

وَعَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا» (متفق عليه).

### وكان صلى الله عليه وسلم المثل في الرِّفق بالمخطئ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًا بَالَ فِي

ناحية المسجد فأسرع الناس إليه، فنهاهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم وقال: «إنما بُعثتم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين، صُبُّوا عليه سَجْلاً من ماء أو قال ذنوبًا من ماء» (البخاري: ٢٢٠).

وعن معاوية بن الحكم السُّلميِّ رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: وا ثُكل أُمِّياه ما شأنكم تنظرون إليَّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلمَّا رأيتهم يُصمِّتونني لكني سكتُّ، فلمَّا صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، قال: «إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن (مسلم: ٥٣٧).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابًا أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا مه مه، فقال: ادنه فدنا منه قريبا، قال فجلس. قال: أتحبُّه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبُّه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبُّونه لبناتهم. قال: أفتحبُّه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم. قال: أفتحبُّه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا النَّاس يحبُّونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهمَّ اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» صحيح: (مسند أحمد: ٢٢٢١١).

ولما كتب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم أخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليًا رضي الله عنه والزبير والمقداد بن الأسود فأحضروا الكتاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا حاطب، ما هذا»؟. قال يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة، يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد صدقكم». قال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم» (متفق عليه).

فيجب علي كل عالم أن يكون رفيقا بكل متعلم، وأن يكون رفيقا بكل جاهل. فلا يعنفه. ولا يوبخه. ولا يسبه ولا يشتمه. ولا يضربه لقلة فهمه ولا لسوء حفظه. ولا لخطأ صدر منه عفوا.

ويجب على الداعية أن يكون رفيقا بالمدعوين. لأن الرفق هو أقرب الطرق إلى القلوب. وأهم أسباب القبول. ولذلك قال الله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه: ٤٣- ٤٤). فقولا له قولا لينا هينا لا عنف فيه ولا صلابة. ولا غلظة ولا فظاظة. لعله يتذكر ما ينفعه فيأتيه. أو يخشى ما يضره فيتركه. وقد فسر هذا القول اللين بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾. (النازعات: ١٨- ١٩).

والمتأمل في هذه الكلمات يرى الرفق واللين ينسابان من كل حرف فيها. فإنه أتى بحرف «هل» الذي يدل على العرض والمشاورة. مما يفيد أنه يجب على الدعاة أن يعلموا أن الدعوة عرض لا فرض. عليك أن تحسن عرض دعوتك ولا يجوز أن تفرضها. ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

والقاعدة العظيمة في الإسلام ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦) قاعدة عظيمة يجب على الدعاة أن يفقهوها ويعوها لا إكراه في الدين فإنما الدعوة عرض لا فرض. فاعرض دعوتك

ولا تفرضها، فإنّ الله تعالى قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم: «وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ» (الكهف: ٢٩).

فقلْ الحقُّ من ربِّكم واتركْ النَّاسَ بَعدَها أحرارًا يختارونَ لأنفسهم ما شاؤوا من الإيمان والكفر، فجزاءُ الجميع عندَ الله «يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (النحل: ١١١)، قال تعالى: «إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» (الكهف: ٢٩- ٣٠).

فالدَّعوةُ عرضٌ لا فرض، فإذا أحسنَ الدَّاعيةُ عرضَ دعوته، واستخدمَ الأسلوبَ الهادئَ والكلمةَ الطيبةَ اللَّينةَ الرَّقيقةَ وصلَ إلى قلوبِ النَّاس من أقصر الطرقِ وأقربها، واستجابَ النَّاسُ لدعوته. ثُمَّ تأمل: «فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى» فهو يدعوه إلى التَّزكية والتَّطهر، ولكنَّه لم يقلْ له: تعال أزكيك، أو أطهرك، وإنَّما تزكي أنت نفسك، أنا أدلك وأنت تزكي نفسك ثُمَّ «وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى» «إلى ربِّك» الَّذي ربَّاك بنعمه الظَّاهرة والباطنة، وآتاك ممَّا سألته وممَّا لم تسأله، ممَّا يوجبُ عليك أنْ تذكرَ نعمَ الله وتقابلها بالشكر.

وهكذا يجبُ أنْ يكونَ الدَّاعيةُ رفيقًا، ولا يجوزُ أنْ يكونَ عنيفًا غليظًا، فإنَّ الدَّاعيةَ إذا كان عنيفًا غليظًا فقد خالفَ أمرَ الَّذي يدعو إليه، فالدَّعوةُ إلى الله، والله أمرَ الدُّعاة أنْ يكونوا هيِّنين ليِّنين، أمرَهم بالرِّفق ونهاهم عن العنف فإذا خالفَ الدَّاعيةُ فقد خالفَ أمرَ الله، وخالفَ أيضًا هديَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

لقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هينًا لينًا، سهلًا رفيقًا، أحسنَ عرضَ دعوته فنجح في تبليغ رسالته، حتى دخلَ النَّاسُ في دين الله أفواجًا، وقد امتنَّ الله عليه بما وفَّقه له من الرِّفق واللين فقال: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ» (آل عمران: ١٥٩).

فإذا أُعطيَ الدَّاعيةُ الرِّفقَ فقد أُعطيَ مفاتيحَ النَّجاح في دعوته وتبليغ رسالته، وإذا تخلَّى الدَّاعيةُ عن الرِّفق وتحلَّى بالعُنف ففشلَ في دعوته فلا يلومنَّ إلَّا نفسه. ولذلك لمَّا بعثَ نُسْتورُ صاحبيه إلى الملك يدعوانه إلى دين عيسى عليه السلام أمرهما أنْ يرفقا بالملك، وأنْ يدعواه بالحكمة والموعظة الحسنة، فخالفَ الصاحبان نصيحةَ نستور، فدخلا على الملكِ فأغلظا له القولَ وعنَّفاه، فأخذهما الملكُ وحبسهما وآذاهما، فقال لهما نستور: ما مثلكما إلَّا كمثل امرأة لم تلدْ حتى كبرتْ سنُّها فولدتْ، فاستعجلتْ شبابَ ولدها لتنتفعَ به، فأطعمته أكثرَ ممَّا يطيقُ فقتلته، فلم تحقِّقْ هدفها»(فيض القدير: ٦/ ٧٥)، ومن هنا قيل: من استعجل الشيْءَ قبلَ أوانه عوقبَ بحرمانه.

وما أحسن ما رواه ابْنُ أبي حَاتم (١٨٩٤٠) عَنْ يَزِيدَ بْنِ الأَصَمِّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام ذو بَأسٍ وَكَانَ يَفِدُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَفَقَدَهُ عُمَرُ فَقَالَ مَا فَعَلَ فُلَانُ بْنُ فلان، فقَالُوا يَا أمير المؤمنين تتابع فِي هَذَا الشَّرَاب. قَالَ فَدَعَا عُمَرُ كَاتِبَهُ: فَقَالَ اكْتُبْ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب إِلَى فلان بن فلان سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ غَافِرُ الذَّنْب وَقَابِل التَّوْب شديدُ العقابِ ذو الطول لا إله إلا هو إِلَيْهِ الْمَصِيرُ. ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ ادْعُوا اللَّه لأخيكُمْ أَنْ يُقْبِلَ بِقَلْبِه وَأَنْ يَتُوبَ اللَّه عليه، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جَعَلَ يَقْرَؤُهُ وَيُرَدِّدُهُ وَيَقُول: غافرُ الذَّنْب وَقَابِلُ التَّوْب شَدِيدُ الْعِقَاب، قَدْ حَذَّرَنِي عُقُوبَتَهُ وَوَعَدَنِي أَنْ يَغْفِرَ لِي.

قَالَ ابن كثير: وَرَوَاهُ الْحَافِظ أَبُو نُعَيْم مِنْ حَدِيث جَعْفَر بْن بُرْقَانَ وَزَادَ: فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا عَلَى نَفْسه ثُمَّ بَكَى ثُمَّ نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر خبره قَالَ: هكذا فاصنعوا، إذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووثقوه وَادْعُوا اللَّه لَهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِ وَلَا تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ.(فهل من مدكر).

نسأل الله الهداية والتوفيق.



# منهج الصحابة في تلقي الحديث النبوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

اتفق المحدثون على أن الحديث النبوي هو: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلْقية أو خُلقية أو كتابة أو إشارة أو وهم أو ترك تشريعي.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو في ساعات خروجه من بيته من جليس يجالسه، أو رفيق يرافقه في مشيه وسيره، أو متعلم يلتمس علما أو مستفت يستفتيه في مسألة.. كما كانت تعرض عليه القضايا العامة، والخاصة فيبدي فيها رأيه، ويصدر فيها حكمه، فجمع الصحابة -كل بحسب ما تيسر له حفظه- كل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم في خارج بيته.

أما ما كان منه في داخل بيته فتكفلت به أمهات المؤمنين، ومن كان يخدم بالبيت، ومن كان يزوره في بيته بحفظ ذلك كله وروايته.

روى البخاري بسنده عن كريب عن ميمونة -رضي الله عنها- «أَنَّ النَّاسَ شَكُّوا فِي صِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِحِلَابٍ (الإناء الذي يُحلب فيه اللبن) وَهُوَ وَاقِفٌ فِي الْمَوْقِفِ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ». (صحيح البخاري ١٩٨٩).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ

إعداد
د. بركات الذيب
أستاذ الحديث وعلومه بجامعة الأزهر

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ، غَسَلَ يَدَيْهِ، وَتَوَضَّأَ وُضُوءَهُ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، ثُمَّ يُخَلِّلُ بِيَدِهِ شَعَرَهُ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَرْوَى بَشَرَتَهُ، أَفَاضَ عَلَيْهِ المَاءَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَدِهِ» (صحيح البخاري ٢٧٢).

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما يبيت في بيت خالته أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها ويحدثنا بما رآه من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: بِتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَتَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، فَأَتَى القِرْبَةَ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءًا بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ، وَلَمْ يُكْثِرْ، وَقَدْ أَبْلَغَ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ.... فَتَوَضَّأْتُ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلَاةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً... الحديث (صحيح مسلم ٧٦٣).

وكان ابن عباس في ذاك الوقت صبيًا لم يبلغ الحلم وهو يدل على اشتراك الصبيان مع النساء فضلا عن الرجال في تحمل الحديث

وروايته.

### الوسائل التي يسرت للصحابة رضي الله عنهم تلقي الحديث النبوي:

هذا وقد تعددت الوسائل التي يسرت للصحابة رضي الله عنهم تلقي الحديث النبوي، ومنها:

**أولاً:** مجالس العلم النبوي، وكانت بحسب مقتضيات الحاجة، واستعداد الحاضرين للتلقي والسماع، قال ابن مسعود رضي الله عنه «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم» «يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا».

وفي الحديث إشارة إلى استحباب ترك مداومة الجد في العمل الصالح خشية الملال، وإن كانت المواظبة مطلوبة، لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يوما بعد يوم، فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليُقبل على الثاني بنشاط، وأحيانا تكون الموعظة يوما في الأسبوع، وذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، والضابط في الموعظة الحاجة إليها، مع مراعاة وجود النشاط. (انظر فتح الباري: ١/١٦٣).

هذا ومن فاته شيء من هذه المجالس لعذر مثلاً، أناب غيره ممن يحضر مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، فيخبره بما حدث النبي فيها، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ. (صحيح البخاري ٨٩).

وفي الحديث من الفوائد: قبول خبر الواحد، والعمل بمراسيل الصحابة، وحرصهم على التعلم والتلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه أيضا انشغال طالب العلم بأمر معاشه ليعينه ذلك على طلب العلم، وأمور الدنيا.

وهذه المجالس للرجال، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخص النساء ببعض مجالس العلم، مع كونهن يستمعن لخطبة الجمعة، وكثير من مجالس العلم عقب الصلوات.

روى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلاَّ كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ» (صحيح البخاري ١٠١).

**ثانياً:** الأسئلة التي كان يوجهها الصحابة للنبي- صلى الله عليه وسلم-

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّه؟ فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّه هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ» (صحيح البخاري ١٢٣).

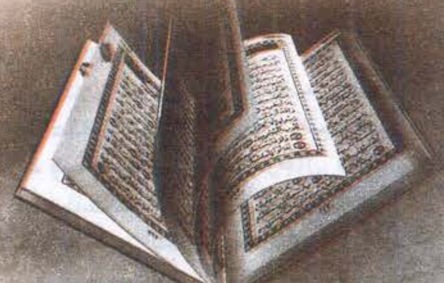
**ثالثاً:** تصحيح أخطاء وقعت منهم، وذلك بإرشادهم إلى الصواب:

روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: تَخَلَّفَ عَنَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا -وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلاةُ- وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا. (صحيح البخاري ٦٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» (صحيح البخاري ٢٢٠).

ومن هنا كانت تحفظ السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم وتنتشر عن طريق الصحابة رضي الله عنهم الذين تلقوها وتحملوها حتى وصلت إلينا بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.



## الأمثال في القرآن

# المثلُ الأعلى

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل من الأمثال القرآنية وهو في قوله تعالى: «لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (النحل:٦٠).

### المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم: فجعل مَثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده، ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعل تفضيل، أي: أعلى من غيره فكيف يكون أعلى وهو عدم محض ونفي صرف، وأي مثل أدنى من هذا؟ تعالى الله عن قول المعطلين علوًا كبيرًا.

فمثل السوء لعادم صفات الكمال، ولهذا جعله مثلاً للجاحدين لتوحيده وكلامه، وحكمته، لأنهم فقدوا الصفات التي من اتصف بها كان كاملاً، وهي: الإيمان، والعلم، والمعرفة، واليقين، والعبادة، والتوكل عليه والإنابة إليه، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، والصبر، والرضا، والشكر وغير ذلك من الصفات التي اتصف بها من آمن بالآخرة، فلما سُلبت تلك الصفات عنهم، وهي صفات كمال صار لهم مَثل السوء، فمَنْ سلب صفات الكمال عن الله، وعلوه على خلقه، وكلامه وعلمه وقدرته ومشيئته وحياته، وسائر ما وصف به نفسه، فقد جعل له مثل السوء، ونزّهه عن المثل الأعلى فإن مثل السوء هو العدم، وما يستلزمه، وضده المثل الأعلى، وهو: الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب سبحانه وتعالى هو الأعلى، ووجهه الأعلى وكلامه الأعلى، وسمعه الأعلى، وبصره وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان، لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، ويستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير.

وهذا برهان قاطع على إثبات صفات الكمال لله وعلى استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه غاية الظهور والقوة، ونظير هذا القهر المطلق، مع الوحدة فإنهما متلازمان، فلا يكون القهار إلا واحدًا، إذا كان معه كفوٌ له، فإن لم يقهره لم يكن قهارًا على الإطلاق وإن قهره لم يكن كفوًا، وكان القهار واحدًا، فتأمل كيف كان قوله سبحانه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشورى:١١)، وقوله: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» (الروم:٢٧)، من أعظم الأدلة على ثبوت صفات كماله سبحانه. (الجامع لأمثال القرآن ص١٤٣).

### المعنى التفصيلي:

«لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» (النحل:٦٠) كما تقدم، فهي بمنزلة جملة (سبحانه)، غير أن جملة سبحانه جواب بتنزيه الله عما نسبوه إليه، وهذا جواب بتحقيرهم

عما يعاملون به البنات مع نسبتهم إلى الله، هذا الصنف المحقر عندهم.

وقد جرى الجواب على استعمال العرب عندما يسمعون كلامًا مكروهًا أو منكرًا أن يقولوا للناطق به: بفيك الحجر، ويقولون: تربت يداك، وتربت يمينُك، واخسأ.

وكذلك جاء قوله تعالى: « لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ » (النحل:٦٠) شتمًا لهم، والمثل: الحال العجيبة في الحسن والقبح، وإضافته إلى السوء للبيان، وعُرِّفوا بـ «الذين لا يؤمنون بالآخرة» لأنهم اشتهروا بهذه الصفة بين المسلمين، كقوله تعالى: « فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ » (النحل:٢٢)، وقوله: « بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ » (سبأ:٨).

وجملة: «ولله المثل الأعلى» عطفت على جملة: «للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء»؛ لأنها بها تكملة إفساد قولهم وذم رأيهم، إذ نسبوا إلى الله الولد وهو من لوازم الاحتياج والعجز.

ولما نسبوا إليه ذلك خصوه بأخسِّ الصنفين عندهم، كما قال الله تعالى: « وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ » (النحل:٦٢)، وإن لم يكن كذلك في الواقع، ولكن هذا جرى على اعتقادهم ومؤاخذة لهم برأيهم.

و(الأعلى) تفضيل، وحُذف المفضل عليه لقصد العموم، أي أعلى من كل مثل في العلو بقرينة المقام.

و(السُّوءُ) بضم السين، الاسم تقدم في قوله تعالى: « يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ » (البقرة:٤٩).

و(وهو العزيز الحكيم):

والعزيز: فعيلٌ من عزَّ إذا قوي ولم يُغلب، وأصله من العزة وهو ضدّ فكان العلم بأنه تعالى عزيز مستلزم تحققهم أنه مُعاقبهم لا يُفلتهم؛ لأن العزيز لا ينجو مَنْ يُناوئه.

والحكيم: يجوز أن يكون اسم فاعل من حكم أي قوي الحكم، ويحتمل أنه المُحكم للأمور فهو من مجيء فعيل بمعنى مُفعل، ومناسبته هنا أن المتقن للأمور لا يُفلتُ مستحقَ العقوبة، فالكلام وعيد وإلا فإن الناس كلهم يعلمون أن الله عزيز حكيم. (التحرير والتنوير لابن عاشور) بتصرف.

وقال ابن كثير: « لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ » (النحل:٦٠) أي: النقص إنما ينسب إليهم، «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» (النحل:٦٠) أي: الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوبٌ إليه، « وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » (النحل:٦٠). اهـ. بتصرف.

قال ابن القيم رحمه الله: "المثل الأعلى يتضمن الصفات العليا، وعلم العالمين بها ووجودها العلمي والخبر عنها وذكرها، وعبادة الرب سبحانه بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكريه؛ فهاهنا أربعة أمور:

- الأول: ثبوت الصفات العليا لله سبحانه وتعالى في نفس الأمر علمها العباد أو جهلوها وهذا معنى قول من فسره بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والتصور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: إنه ما في قلوب عابديه وذاكريه من معرفته وذكره ومحبته وإجلاله وتعظيمه، وهذا الذي في قلوبهم من المثل الأعلى لا يشترك فيه غيره معه، بل يختص به في قلوبهم كما اختص في ذاته.

وهذا معنى قول من قال من المفسرين: أهل السماء يعظمونه ويحبونه ويعبدونه، وأهل الأرض يعظمون ويجلونه، وإن أشرك به من أشرك وعصاه من عصاه، وجحد صفاته من جحدها، فكل أهل الأرض معظمون له مُجلُّون له خاضعون لعظمته مستكينون لعزته وجبروته، قال الله تعالى: « لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ » (البقرة:١١٦)، فلست تجد أحدًا من أوليائه وأعدائه إلا والله أكبر في صدره وأكمل وأعظم من كل ما سواه.

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها وتنزيهها عن النقائص والعيوب والتمثيل.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له والتوكل عليه والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل، كان هذا الحب والإخلاص أقوى، فعبارات السلف تدور حول هذه المعاني الأربعة لا تتجاوزها". (الصواعق المرسلة (١٠٣٠/٢ وما بعدها)، وانظر: «الفوائد» (ص٣٨) وما بعدها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# فقر المشاعر بين الجيران

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعدُ:**

**فإن للجار في الإسلام منزلة عالية، وحرمة مصونة، ولقد بلغ من عظم حق الجار في الإسلام أن قرن الله حق الجار بعبادته وتوحيده تبارك وتعالى، وبالإحسان إلى الوالدين، واليتامى، والأرحام.**

إعداد: د. محمد بن إبراهيم الحمد

قال الله عز وجل: في آية الحقوق العشرة: «وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ» (النساء:٣٦).

فقوله تعالى: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ» : هو الذي بينك وبينه قرابة، وقيل: هو الذي قرب جواره، وقيل: المسلم، وقيل: الزوجة.

وقوله: «وَالْجَارِ الْجُنُبِ» قيل: هو الذي يعد في العرف جارًا وبينك وبين منزله فسحة.

وقيل: هو الذي ليس بينك وبينه قرابة، وقيل: الزوجة. وقيل: غير المسلم.

أما السنة النبوية فقد استفاضت نصوصها في بيان رعاية حقوق الجار، والوصاية به، وصيانة عرضه، والحفاظ على شرفه، وستر عورته، وسد خلته، وغض البصر عن محارمه، والبعد عما يريبه ويسيء إليه.

ومن أجل تلك النصوص وأعظمها ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». (متفق عليه).

أي ظننت أنه سيبلغني عن الله الأمر بتوريث الجار من جاره.

وهذه كلمة جامعة بالغة: فإن الوصاية بالجار تشمل كف الشر عنه، وإسداء الخير إليه، وقوله صلى الله عليه وسلم: «حتى ظننت أنه سيورثه». يدل على أن الوصاية بالجار كانت على جانب عظيم من التأكد، والحث على رعاية حقوقه.

ومع عظم هذه الوصاية بالجار فإن هناك من فرط كثيرًا في حق الجار، والذي يعنينا في هذا السياق قلة المراعاة لمشاعر الجيران، وهذا الأمر يأخذ مظاهر عديدة منها:

١- مضايقة الجار: وتلك المضايقة داخلة في أذية الجار، وهي تأخذ صورا شتى: فمن مضايقة الجار إيقاف السيارات أمام بابه حتى يضيق عليه دخول منزله، أو الخروج منه.

ومن ذلك مضايقته بالأشجار الطويلة التي تطل على منزله، وتؤذيه بتساقط الأوراق عليه.

ومن ذلك ترك المياه تتسرب أمام منزل

الجار مما يشق معها دخول الجار منزله، وخروجه منه، ومن ذلك إيذاء الجيران بالروائح المنتنة المنبعثة من مياه المجاري.

وقد لا يُلام المرء على هذا في بداية الأمر، ولكن يُلام إذا لم يحرص على إصلاحها أو تعاهدها.

ومن ذلك مضايقتهم بمخلفات البناء وأدواته؛ حيث تمكث طويلاً أمام بيوت الجيران بلا داع.

أما إذا احتاج الجار إلى وضع بعض المخلفات أمام منزل جاره، وحرص على إنجاز العمل فلا بأس، فمتطلبات الحياة تستلزم مثل هذا، وتحمُّل مثل ذلك من حق الجار على الجار.

والمقصود أن يعجَل المرء في إماطة الأذى عن جيرانه مع الاعتذار لهم، وشكرهم على تحملهم.

ومن صور مضايقتهم: حفر الآبار وتركها مكشوفة دون وضع حماية لها، فتكون عرضة لسقوط أحد أبناء الجيران فيها.

ومن المضايقة للجيران: وضع القمامة أمام أبوابهم.

٢- احتقار الجار والسخرية منه: كأن يحتقر جاره، أو يسخر منه لفقره، أو لجهله، أو وضاعته.

ومن ذلك السخرية بحديثه إذا تحدث، والسخرية بملبس الجار، أو منزله، أو أولاده، أو نحو ذلك.

ويكفي في التنفير من هذا الخلق القبيح قوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ » (الحجرات:١١).

واحتقار الجار لا يصدر من ذي خلق كريم، أو دين قويم، وإنما يفعله الذين ضمر إحساسهم، ولم يتربوا تربية فاضلة.

وإلا لو كانوا كرامًا لما احتقروا جارهم، بل لحرصوا على أن يجلوه، وأن يرفعوا خسيسته.

٣- إيذاء الجار بالجَلَبة: فمن الجيران مَن لا يأنف من إيذاء جيرانه بالجلبة، إما برفع الأصوات بالغناء والملاهي، أو برفع الصوت بالشجار بين أهل البيت، أو بلعب الأولاد بالكرة وإزعاجهم للجيران، أو بطرق باب الجار وضرب جرس منزله دون حاجة، أو بإطلاق الأبواق المزعجة أمام بيت الجار خصوصًا في الليل، أو في أوقات الراحة، فلربما كان أحد الجيران مريضًا، أو كبيرًا لا ينام إلا بشق الأنفس، أو لديه طفل يريد إسكاته وتهدئته، فلا يستطيع ذلك بسبب الإزعاج والجلبة.

٤- قلة المشاركة العاطفية للجيران: فمن الناس من لا هَمَّ له إلا خاصة نفسه، وما عدا ذلك لا يعنيه في قليل ولا كثير، ففرحُ الناس وحزنهم ومشكلاتهم لا تشغل حيزًا من تفكيره.

وتلك آفة سيئة، وأثرةٌ قبيحة، وهي مع الجيران أسوأ وأقبح، فالجار الصالح من يُعنى بشئون جيرانه، فيشاطرهم أفراحهم، ويشاركهم أتراحهم، فإن نالهم فرحٌ فَرِحَ معهم، وزاد من أنسهم، وإن نابهم ترحٌ شاركهم في مشاعرهم، وواساهم، وخفف عليهم مصابهم؛ فإن ذلك دليل الإيمان، وآية المروءة، فالمؤمن للمؤمنين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، والمؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ولقد كان العرب يضربون المثل في حسن الجوار بجار أبي دؤاد، وهو كعب بن أمامة، فيقولون في مثلهم السائر: « جار كجار أبي دؤاد ».

فإن كعبًا كان إذا جاوره رجل فمات وداه (أي: أعطى أهله مقدار ديته)، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه، فجاءه أبو دؤاد الشاعر مجاورًا له، فكان كعب يفعل به ذلك، فضربت العرب به المثل في حسن الجوار، فقالوا: جار كجار أبي دؤاد.

نسأل الله أن يؤلف بين قلوب المسلمين.



باب القراءات القرآنية

# تراجم أئمة القراءات

إعداد: د/ أسامة صابر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فلا يزال الحديث متصلاً عن تراجم علماء القراءات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

### الإمام ابن كثير (٤٥-١٢٠هجرية):

هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زاذان بن فيروز بن هرمز الإمام أبو معبد الكناني المكي المقرئ، إمام المكيين في القراءة، مولى عمرو بن علقمة الكناني.

وابن كثير المقرئ غير ابن كثير صاحب التفسير المشهور، واسمه إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الحافظ عماد الدين أبو الفداء.

قال عنه الإمام الشاطبي رحمه الله:

ومكة عبد الله فيها مقامه

هو ابن كثير كاثر القوم معتلا

وعني بالقوم القراء السبعة، وأراد أنه سبقهم بلزومه مكة، وهي أفضل البقاع عند أكثر العلماء، وبقراءته على صحابي وهو عبد الله بن السائب المخزومي، وهو الذي بعثه عثمان رضي الله عنه بمصحف إلى أهل مكة لما كتب المصاحف وسيرها إلى الأمصار، وأمره أن يقرئ الناس بمصحفه، فكان ممن قرأ عليه عبد الله بن كثير.

أصله فارسي، وكان داريًا بمكة، والداري هو العطار، وقيل في نسبته الداري انه من بني عبد الدار، وقيل نسبوه إلى دارين، وهو موضع بالبحرين يؤتى منه الطيب.

قرأ على مجاهد، ودرباس مولى ابن عباس.

قال عنه الإمام مسلم بن الحجاج: «هو من الطبقة الثانية من التابعين».

لقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم.

وقرأ عليه خلق منهم شبل بن عباد، وأبو عمرو بن العلاء، واسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المعروف بالقسط، وابن جريج، والخليل بن أحمد، وقرة بن خالد.

نقل الإمام الشافعي قراءته، وأثنى عليها، وقرأ على صاحبه إسماعيل بن قسطنطين قارئ أهل مكة، وقال: «قراءتنا قراءة عبد الله بن كثير، وعليها وجدت أهل مكة، ومن أراد التمام فليقرأ لابن كثير».

صفاته: كان فصيحًا بليغًا مفوهًا، أبيض اللحية، طويلاً جسيمًا، أسمر، يخضب بالحناء،

عليه سكينة ووقار، انتهت إليه الإمامة بمكة، وعاش خمسًا وسبعين عامًا.

كان واعظًا يقص على الناس، وإذا أراد أن يقرئ أصحابه جمعهم ووعظهم، ثم قال: إنما أفعل هذا حتى تتقدموا إلى تلاوة القرآن بقلوب خاشعة، ونفوس خاضعة، وعيون دامعة.

وكان يخرج إلى حر الرمضة فيقلب وجهه وخديه فيها، ثم يقول: « يا ليتني خرجت من هذا الأمر كفافا لا لي ولا عليّ »!!

قال الأصمعي: قلت لأبي عمرو بن العلاء البصري: «قرأت على ابن كثير؟ قال: نعم ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد، وكان أعلم بالعربية من مجاهد».

### البزي (١٧٠-٢٥٠هـ):

هو الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة المكي، مقرئ أهل مكة ومؤذن المسجد الحرام، من موالي بني مخزوم.

قال البخاري: اسم أبي بزة بشار، مولى عبد الله بن السائب المخزومي، وأبو بزة فارسي وقيل حمداني.

قرأ على عكرمة بن سليمان، وعبد الله بن زياد عن إسماعيل بن عبد الله القسط عن ابن كثير، فروايته عن ابن كثير بواسطة.

أذّن بالحرم أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من (والضحى) إلى ختام القرآن.

قال عنه ابن الجزري: كان البزي إمامًا في القراءة، محققًا، ضابطًا، متقنًا لها، ثقة فيها، انتهت إليه مشيخة الإقراء بمكة.

### من أقواله:

قال: سمعت مؤمل بن إسماعيل يقول: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق، قال ابن أبي بزة: فمن قال مخلوق فهو على غير دين الله ودين رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يتوب».

### قنبل (١٩٥-٢٩١هـ):

هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن خالد ابن سعيد بن جرجة الإمام أبو عمر المخزومي مولاهم- المكي- المقرئ.

لقب بقنبل قيل لأنه كان يستعمل دواء يسمى قنبيل، فلما أكثر استعماله عُرِفَ به، ثم خفف وقيل له قنبل، وقيل بل هو من قوم يقال لهم القنابلة، وقيل لقب بذلك لشدته، والقنبل: الغليظ الشديد.

قرأ على أبي الحسن القواس، عن أبي الإخريط وهب بن واضح، عن إسماعيل، عن شبل ومعروف بن مشكان عن ابن كثير؛ فروايته عن ابن كثير بواسطة، وأخذ عن البزي أيضًا.

وتلا عليه ابن مجاهد، وأبو الحسن بن شنبوذ.

ولي شرطة مكة فحُمِدَت سيرته، ثم إنه طعن في السن وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين.

قال ابن الجزري: كان قنبل إمامًا في القراءة، متقنًا، ضابطًا، انتهت إليه مشيخة الإقراء بالحجاز، ورحل إليه الناس من الأقطار.

### أبو عمرو بن العلاء البصري

### وراوياه الدوري والسوسي:

أبو عمرو بن العلاء الإمام الكبير المازني البصري المقرئ النحوي، شيخ القراء بالبصرة. اختُلف في اسمه على أقوال أصحها زبّان. ولد سنة ثمان وستين وقيل سنة سبعين.

اخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة، عُرض بمكة على مجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، وعكرمة بن خالد، وابن كثير، وغيرهم، وبالمدينة على أبي جعفر، ويزيد بن رومان، وشيبة بن نصاح، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر، ونصر بن عاصم، والحسن، وغيرهم.

قرأ عليه خلق كثير منهم: يحيى بن المبارك اليزيدي، وعبد الوارث التنوري، وشجاع البلخي، وابن المبارك، ويونس بن حبيب النحوي، وغيرهم.

### من أخلاقه:

كان أبو عمرو لا يؤم، فاضطر يومًا حتى قُدِّمَ إلى الصلاة، فقال للناس: استووا فغشي عليه، فما زال الدم يخرج من حلقه، فقيل له في ذلك، فقال: نعم، لما قلت لكم استووا وقع بقلبي في الله خاطر كأنه يقول: عبدي استويت لي طرفة عين حتى تقول لخلقي استووا.

قال الأصمعي: لقيني أبو عمرو فأخذت بيده

لأقبلها فسبقني فقبل يدي، ثم قال: أنت أحق بهذا.

**من أقواله:**

من عرف فضل من فوقه عرف له من دونه، ومن جَحَد جُحِد.

إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال.

خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.

لقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت لما قدر الأعمش على حملها.

قال للأصمعي: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يجيبك، أو تحدث من لا ينصت لك.

**ثناء العلماء عليه:**

قال أبو عبيدة: كان أبو عمرو أعلم الناس بالقرآن، والعربية، وأيام العرب والشعر، وأيام الناس، وكان يختم كل ثلاث. وقال: كانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت إلى السقف.

قال إبراهيم الحربي: كان أبو عمرو بن العلاء من أهل السنة.

وقال وهب بن جرير: قال لي شعبة تمسك بقراءة أبي عمرو، فإنها ستصير للناس إسنادًا.

مات رحمه الله بالكوفة سنة ١٥٤هـ.

روى عنه الدوري والسوسي بواسطة يحيى بن المبارك اليزيدي.

**الدوري:**

هو حفص بن عمر بن عبد العزيز بن صهبان، ويقال صهيب بدل صهبان، الإمام المقرئ أبو عمر الدوري الأزدي النحوي البغدادي الضرير، والدور المنسوب إليها هي محلة بالجانب الشرقي من بغداد.

قرأ القرآن على إسماعيل بن جعفر، وعلى الكسائي، ويحيى اليزيدي، وسُليم، وأبي عمارة حمزة بن القاسم الأحول صاحب حمزة الزيات، وسمع الحروف من أبي بكر بن عياش.

وقرأ عليه أحمد بن يزيد الحلواني، وأبو الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، وأحمد بن فرح المفسِّر، وأحمد بن حرب شيخ المطوعي، وغيرهم.

قال ابن الجزري: هو أول من جمع القراءات.

قال أبو علي الأهوازي: رحل الدوري في طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ، وسمع من ذلك شيئًا كثيرًا، وهو ثقة في جميع ما يرويه، وعاش دهرًا، وذهب بصره في آخر عمره، وكان ذا دين وخير.

قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن أبي عمر الدوري.

وقال أحمد بن فرح الضرير: سألت الدوري: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله غير مخلوق.

توفي سنة ٢٤٨هـ، وقيل ٢٤٦هـ.

**السوسي:**

هو صالح بن زياد بن عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن الجارود بن مسرح، أبو شعيب الرقي السوسي نسبة لموضع بالأهواز.

قرأ القرآن على يحيى اليزيدي وممن قرأ عليه ابنه أبو معصوم، وموسى بن جرير النحوي، وأخذ عنه الحروف أبو عبد الرحمن النسائي.

قال أبو بكر المروزي: أخبرت أبا عبد الله بن حنبل أن أبا شعيب السوسي زوج بنته رجلا، فلما وقف في القرآن فرّق بينه وبين بنته، وقد كان شاور أبا جعفر النفيلي فأمره أن يفرِّق بينهما، فقال أحمد: أحسن السوسي، عافاه الله.

توفي رحمه الله سنة ٢٦١ وقد قارب التسعين.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

**تعقيب على مقالة (شبهات حول القراءات) المنشورة في عدد ذي القعدة**

في قول الله تعالى: «اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» (سورة فاطر: ٤٣)، قرأ حمزة (ومكر السيء) بإسكان الهمزة وصلاً، وقرأ الباقون بكسرها، وأما كلمة (السيء) الثانية في قوله تعالى: «ولا يحيق المَكْرُ السَّيِّئُ إلا بأهله»، فلا خلاف في رفع الهمز بين القراء. والله أعلم.

# جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

## ومن أهدافها

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب، وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا، يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

٤ الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرِّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.


التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٤ مجلدة
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
ثمن الكرتونة
١٠٠٠ جنيه
مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
لا يستغني عنها بيت مسلم
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي
للاستفسار يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517